



روبرت إل برينمان

أقوياء قوة جبالهم

رحلة في الثقافة الكردية

ترجمه: عبدالسلام النقشبندي

أقوياء قوّة جبالهم

رحلة في الثقافة الكوردية

The English language edition of this book is published by
Waveland Press, Inc.
4180 IL Route 83, Suite 101, Long Grove, Illinois 60047
United States of America

روبرت إل برينمان

أقوياء قوّة جبالهم

رحلة في الثقافة الكوردية

ترجمه:

عبدالسلام النقشبندي



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل – اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر

شارع گولان - اربيل

اقليم كردستان العراق

البريد الألكتروني aras@araspress.com

الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com

الهاتف: 35 49 224 66 (0) 00964

تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

روبرت إل برينمان

أقوياء قوة جبالهم - رحلة في الثقافة الكوردية

الترجمة الى العربية: عبدالسلام النقشبندي

منشورات اراس رقم: ١٠٨٤

الطبعة الأولى ٢٠١٠

كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة

مطبعة اراس - أربيل

رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في أربيل ٥٢٣ - ٢٠١٠

الاخراج الداخلي: أراس أكرم

الغلاف: مريم متقيان

التنضيد: كوردستان كيفي

التصحيح: أوميد البناء

نبذه عن المؤلف

روبرت إل برينمان

Robrt. L. Brenneman وكتـابة "أقـوياء مـثل جـبالـهم " As Strong As The Mountans المؤلف حـاصـل على درجـة Ph. D. من جـامـعـة منيـوتا ويـدرس في جامعة نورث سنترال في مدينة منياپولس في ولاية منيوتا. عاش مع أفراد عائلته في الشـرق الأوسط وعلى الأخص في تركـيـا والعـراق للفـتـرة من ١٩٨٣ إلى ١٩٩٦ حيث كان يدرس اللغة الأنكليزية في تركيا.

في ١٩٩١ التـحق بمنظمـة غـير حـكومـية عـملت على توطين اللاجـئين الكورد الذين بدءوا العودة إلى منازلهم. كانت السنوات الأربع التي قضـاها مع الكورد في شـمـال العـراق مليئـة بالآمـال والالام، آلمه كـثيـراً اندلاع القـتـال بين الكورد واعتبرهُ أشد خطورة على الكورد من قتال الاعداء لهم.

منذ مغادرته للمنطقة في ١٩٩٦ فان روبرت إل برينمان يزورها مرة على الأقل في كل سنة، ويعطينا المؤلف معلومات قيّمة عن أصول الكورد وهويتهم القومية وحقوق الأنسان ودور المرأة والعائلة والمجتمع و الممارسات الدينية والإنتقال من الثقافة الشفوية إلى الرسمية المكتوبة، إن بحثه في الموروث الثقافي الكوردي يأخذ بالقارئ إلى جبال أرارات موقع رسو سفينة نوح وإلى اسطنبول ومدن آخرى مكتظة بالكورد النازحين اليها وزار مخيمات اللاجئين الكورد والقرى المدمرة ومقاهي و مطاعم اسطنبول وهو يدرس الثقافه الكوردية. سلّط الضوء على الدروس المهمة التي يمكن استخلاصها من التجربة الكوردية.

إنه كـتـاب من رجل خـبـيـر بشـؤون الكورد واسلوب حـيـاتهم ونظرتهم إلى محيطهم والعالم الخارجي. أحبَ روبرت الكورد صغارهم وكبارهم مثلما آحبه الكورد واعتزوا به.

أُذكرّ قراء الكتاب المحترمين بأن الآراء والأفكار والتحليلات التي وردت في الكتاب هي ملك الكاتب وليس لي دخل في صياغتها، لقد بذلت قصارى جهدي أن أكون أميناً في ترجمتها ولايعني هذا بأني اوافقه الرأي في كل ماكتب.

المترجم

الفصل الأول

- في ١٩٩١ عندما أجبرت قوات صدام حسين نحو مليوني كوردي على الفرار من قراهم وبلداتهم ومدنهم طالبين الأمن والمأوى في جبال تركيا وايران كشفت شبكات التلفزيون عن شعب كان الملايين على جهل بمصيرهم ظهر الكورد من جديد على شاشات التلفزيون وفي نشرات الأخبار في ٢٠٠٣ عندما أصبحت الهجمات عليهم بالاسلحة الكيماوية (هذه الهجمات لقيت القليل من الاهتمام في حينها) جزءاً من التبرير لغزو العراق ونشوب حرب الخليج الثانية.

في كلتا المرتين ظهر الكورد على المسرح الدولي ولم يعودوا يعانون من عدم الأهتمام الاولي بهم.

- الكورد اكبر مجموعة عرقية في العالم دون أن تكون لها دولتها الخاصة بها، يبلغ تعدادهم اليوم بين ٣٠-٤٠ مليون موزعين بين تركيا وايران والعراق وسوريا.

الكورد قوم يتخطون الحدود الدولية وهم في ذلك يشبهون البربر والطوارق وفولاني (Fulani) وروما ومجموعات عرقية أخرى تتواجد باعداد كبيرة في دول متعددة القوميات ولأن الكورد بقوا بدون وطن خاص بهم فقد ترك ذلك عليهم أسوأ الاثار النفسية، يقول الكورد أن العرب والترك والفرس لا يتفقون الا على شيء واحد هو عدم السماح للكورد بالعيش في دولة خاصة. بهم في موطنهم كوردستان.

- على مرّ التاريخ عانى الكورد ضروباً من القهر الذي شمل محاولات لصهرهم وانكار هويتهم وفرض الحظر على لغتهم وعلى التعبير الثقافي والابادة الجماعية. "ليس للكورد صديق غير الجبال" تعبير يتردد على لسان كل كوردي وهو يذكرهم بأنهم بين فترة بعد أخرى أجبروا على الهروب إلى الجبال

والاحتماء بها باعتبارها الصديق الوحيد الذي يمكن الوثوق به.

- إن كورد شمال العراق " كوردستان العراق" اليوم اقوى حلفاء الولايات المتحدة وهم جد ممتنين لها لانقاذها لهم من بطش وقوة قوات نظام صدام حسين حيث أدت حملات الابادة ضدهم إلى موت مئات الألوف منهم والى تدمير آلاف القرى نتج عنها ظروف معيشية مأساوية للملايين الذين بقوا على قيد الحياة.

إن التدمير الذي أصاب الاف القرى بسبب حملات قوات صدام جعل من الصعب إعادة الأرض إلى سابق عهدها. ومنذ ١٩٩١ خطى الكورد خطوات كبيرة جداً لتطوير منطقتهم إلى اقليم عصري ضمن إطار دولة العراق. لقد اقاموا الجامعات والمراكز التجارية وحكومة ديمقراطية في المنطقة التي هي تحت ادارتهم وهنالك شعور بالتفاؤل الحذر بين المواطنين ومع آن هنالك مشاكل عدة ولكن لايسعني إلاّ أن اقف بأعجاب حيال التغييرات التي حصلت منذ ١٩٩١ وهي سنة زيارتي الاولى لكوردستان العراق إن قدرة الكورد على البقاء وتحديهم لأولئك الذين حاولوا تدميرهم وصهرهم يساعدنا على فهم أفضل المجموعات العرقية التي لاتملك وطناً.

وهذا ينطبق على المجموعات التي تواجه التمدن بعد قرون من العيش في مجمعات ريفية بدائية تعتمد على الخطاب الشفوي بغية المحافظة على تماسكها القومي.

- إذا ما قورنوا بكورد العراق فإن كورد تركيا يقدمون معضلة معقدة، الممثلون في هذه المسرحية لايقفون بوضوح إلى جانب الخير والشر واين هي ولاءاتهم، موضوع شائك يقض مضاجع أهل الشرق الأوسط ويؤرقهم.

- هذا الكتاب يساهم في زيادة المعرفة برابع أكبر مجموعة عرقية. في الشرق الاوسط لها أهميتها الستراتيجية في تركيا والعراق وايران وسوريا، ثلاثة من هذه البلدان (ايران سوريا العراق) أعتبرت عملاءً للولايات المتحدة. كما أن معارضة تركيا القوية لتدخل الولايات المتحدة في العراق حولت عدداً كبيراً من الاتراك إلى حلفاء اقل اعتماداً.

رحلتي مع الكورد

- الكورد شعب متميز بمعاناة كبيرة وخيانات واهمال ومع ذلك فقد أظهر تعلقاً بالحياة وأظهر كرماً وشجاعة لاتقهر وحباً لموروثهم الثقافي وتقاليدهم التي بقيت قائمة لقرون عديدة. اليوم يواجه الكورد تحدي المدنية، تابعت المعضلة الكوردية منذ اوائل الثمانينات عندما بدأت الاقامة أنا وعائلتي بينهم اولاً في تركيا وبعد ذلك في شمال العراق، قضيت معهم ١٤ سنة وزرت المنطقة مرات عديدة منذ ١٩٩٦ وهي السنة التي غادرت فيها شمال العراق إلى الولايات المتحدة.

- في الفترة الممتدة بين ١٩٨٢ و ١٩٩١ كنت اقوم بتدريس اللغة الانكليزية في ثلاثة معاهد وفي مناطق مختلفة، في اسطنبول كان بين طلابي عدد من الكورد انصهر بعضهم تماماً في الثقافة التركية بينما افصح آخرون عن كوردتيهم وكان آخرون اكثر تعصباً للدين الاسلامي.

هذه الابعاد الثلاثة للتجربة الكوردية - الصهر والتعصب القومي والانتماء الاسلامي افاقتني على تعقيدات كون الشخص كوردياً في تركيا.

- بعد سنوات من إقامتي في اسطنبول درست الانكليزية في مدرسة تقع في قلب المنطقة الكوردية في تركيا، ناظر المدرسة كان رجلاً صريحاً وأخبرني بأنني سأكون تحت مراقبة دقيقة من الشرطة السرية داخل المدرسة وخارجها، إن اختيار التدريس في منطقة نائية وخالية من مواقع أثرية ومناظر خلابة وشواطئ جميلة أمر مثيل للشبهات، كان هذا الوقت عصيباً بل و مأساوياً بالنسبة للكورد حيث أطلق صدام حملة الأنفال (الأنفال الكلمة عربية وهي اسم لسورة من القرآن وتعني غنائم المعركة) التي أجبرت الألوف من الكورد على الهرب إلى تركيا ودخلوا مخيمات للاجئيين في المدينة التي كنت أقيم فيها، وكان القتال بين الحكومة التركية و Pkk في ذروته وأسفرت المناوشات اليومية عن مقتل نحو ٣٠,٠٠٠ إلى ٣٥,٠٠٠ شخص.

لم اكن في هذا الوقت متحمساً لتعلم اللغة الكوردية أو مناقشة مواضيع متعلقه بالكورد لأن اي إهتمام بالكورد يمكن له أن يؤدي إلى ترحيلي وإحداث

الضرر للمدرسة.

- قضيت السنتين الاخيرتين في جامعة في شمال جزيرة قبرص التي هي دولة في الجزيرة المقسمة لم يعترف بها سوى تركيا والمسألة. هي محور مفاوضات لاعادة المصالحة بين القبارصة الترك واليونانيين. كان هنالك طلاب من المناطق الكوردية في تركيا ولكن معظمهم انصهر في الثقافة التركية. بالاضافة اليهم كان هنالك عدد لا بأس به من العمال اليدويين الكورد والذين جاءوا بحثاً عن العمل تعود هؤلاء العمال على التجمع في المقاهي وهم يحتسون اكواب الشاي ويلعبون الورق ويتسامرون مع غيرهم من القادمين من مناطقهم الكوردية.

- في ١٩٩١ وعندما كنت أنهي مهمتي التدريسية في شمال قبرص سمعت عن الأعداد الهائلة للاجئين الفاريين من قوات صدام حسين والمتجهين إلى جبال تركيا وايران المجاورتين للعراق. بعد العودة إلى الولايات المتحدة إتصل بي مدير منظمة غير حكومية وطلب مني الذهاب إلى شمال العراق للمساعدة في اعادة توطين اللاجئين الذين كانوا في طريق العودة إلى مواطنهم بموجب عملية توفير الملاذ الآمن. ارادت المنظمة معرفة الحوافز التي تجعل النازحين راغبين في العودة إلى قراهم الأصلية معظم الكورد كانوا يعيشون في مخيمات وفي المدارس والمجمعات القسرية التي اقامها صدام وفي المعامل وفي الأبنية العامة ومنها التي كانت سجوناً في عهد صدام حتى يكونوا قادرين على العودة إلى قراهم الأصلية ولكي يصبحوا معتمدين على أنفسهم اقتصادياً قال معظم العائدين بأنهم يحتاجون ملجأ يأويهم وطريقاً تصلهم بالمدينة والدوائر الصحية والسوق المحلية ويحتاجون مدرسة ايضاً، وطلب أخرون الحبوب والأغنام. كما أن بعضاً أخر لم يرجعوا لأنهم إما اعتادوا على حياة المدينة أو فقدوا كل مستلزمات العيش في القرية الاصلية، وفي حالات رفضت الأرامل العودة إلى القرى بدون أزواجهم حيث قتل معظمهم من قبل قوات صدام. ومع أن المدن في الشمال لم تدمر مثل القرى النائية فان سكانها كان لديهم شعور بعدم الاستقرار، واستمر صدام في اطلاق التهديدات بالسيطرة على المنطقة من جديد

وتركيا من جهتها قادرة على غلق الحدود في اي وقت تشاء وتجعل الحياة صعبه للسكان حيث يوجد بالفعل نقص في المواد الغذائية وتوفيرها يعتمد على حدود مفتوحة مع تركيا، عندما كنا منهمكين في تقدير حاجات السكان بالانابة عن المنظمة أدهشتنا صداقة وبشاشة الكورد الذين التقينا بهم وقعنا اولاً في حب الاطفال الذين بحماسهم و ابتساماتهم كانوا يهرعون الينا ويخاطبون الأجانب ذكوراً و اناثاً بعبارةً أهلا ياسيًد Hello Mister ركضت نحونا طفلة صغيره وجميله من مسافة بعيدة كي تقول لنا Hello Mister كان الأهالي يدعوننا باستمرار إلى تناول كوب من الشاي معهم، مع أننا لم نكن نعرف الكوردية في ذلك الوقت ومعظم الذين التقينابهم لم يكونوا يعرفون الانكليزية إلا أن وجود أجنبي بينهم كان يوحى اليهم أن المجتمع الدولي لم يعد غير ومكترث بهم كما كان شأنه في الماضي، وبعد ستة أشهر انتقلت أنا و عائلتي إلى المنطقة التي أصبحت بيتنا لمدة اربع سنوات قادمة.

– كانت السنوات الأربع هذه ملأى بالأمل والألم. كان الكورد العائدون إلى مناطقهم تحت الحماية الدولية وعملية توفير الراحة Operation Proide نشوى لعودتهم إلى بيوتهم و واجهوا عملية بناء القرى» بعبر وأمل كبير، رغم الخوف الدائم من عودة صدام ورغم التوغل التركي في المنطقة لملاحقة عناصر Pkk مرتين بالاضافة إلى الظروف الصعبة فان قدراً لابأس به من الاعمار قد تحقق، بعد مضي سنة انقطعت القوة الكهربائية التي كانت تأتي من المناطق التي يسطير عليها الطرقبون وهكذا فقد عانيت وعائلتي مثل سائر اهل المنطقة الذين لم يستطيعوا الحصول على مولدات وعشنا على ضوء الشموع ونمنا على السطوح في الليل لشدة الحر داخل البيت. انقطعت الطاقة لمدة شهر ثم فجأة وعلى حين غره سمعنا أصوات الطلقات ابتهاجاً بعودة الكهرباء واستمر الاحتفال لمدة ست ساعات، ثم انقطعت الطاقة في هذه المرة لمدة سنتين.

أعزى الناس سبب عودة الكهرباء إلى الحرب النفسية التي استخدمها صدام ضدهم. يرفع من معنوياتهم ثم يصيبهم بالاحباط.

– إن التجربة المرة والقاسية لم تكن تلك المتأتية من تهديدات صدام أو من

إنقطاع الكهرباء لمدة سنتين بل كانت تلك التي خيمت عليهم من الحرب الاهلية التي اندلعت بين الحزبين الرئيسين في المنطقة وهو الحزب الديمقراطي الكوردستاني KDP والاتحاد الوطني الكوردستاني PUK. وحتى البيشمركة الذين قاتلوا بكل شجاعة ضد صدام وكسبوا إحترام الشعب لهم توزعوا بين الحزبين وقاتل الواحد منهم الآخر، عندما كان أعداء الكورد يشنون المعارك ضدهم كان الكورد يتحدون ويبقى الشعب متحمساً ومتفائلاً، ولكن عندما بدأ الكوردي يقتل أخاه الكوردي أصيب الشعب بخيبة أمل شديدة وحاول كل كوردي مثقف يملك المال الخروج والذهاب إلى الخارج وزال التفاؤل وساءت الأحوال المعيشية وازداد التذمر..

وبدأوا يتحدثون عن زمن الخير عندما كان صدام في الحكم وكان الناس يملكون السيارات ويحصلون على العمل ولديهم طعام وفير فكّر صدام بأن الكورد سيحنون إلى عودته خلال خمس سنوات إنه يعرف بما فيه الكفاية عن التاريخ الكوردي وعن لامبالاة الغرب كي يتكهن أن الكورد سيقاتل الواحد منهم الآخر وأنهم سيرحبون بعودته لإعادة الامن والنظام إلى منطقتهم، ولكن ولحسن الحظ خاب فأله ولم تتحقق نبوءتهُ الا لفترة قصيرة.

- بقيت أحوال المنطقة صعبة حيث أصبح عبور الحدود إلى تركيا صعباً جداً، فمثلاً إذا عبر احد العاملين مع المنظمة الحدود لحالة مرضية طارئة أو ذهب لشراء المواد فان الأتراك لايسمحون له بالعودة إلى العراق. وهكذا خرج كثيرون ولم يعودوا. على كل حال تقدم عمل المنظمة ووزعنا مواد البناء الاساسية للملاجئ مثل السمنت وخشب الجوز والحصران للسقف والأبواب وأطر الشبابيك وما إلى ذلك.

واشرف المهندسون على بناء المدارس والملاجئ والقرويون يقدمون العمل اليدوي المطلوب انشأنا مدارس مكوّنة من ٣ إلى ٦ صفوف حسب حجم سكان القرية او القرى المجاورة التي تشترك في مدرسة واحدة. كما اشرفنا على فتح الطرق وصيانتها وانشأنا أيضاً مراكز صحية، في فترة إقامتي في المنطقة قمنا بانشاء ١١ ألف ملجأ و ٢٥ مدرسة وعدة مستوصفات صغيرة مع ترميم العديد

من البيوت العائدة للأرامل اللاتي قتل أزواجهن في عمليات الانفال.

– وعندما حان وقت التحاق أبني الكبير إلى الكلية عدنا إلى الولايات المتحدة في حزيران ١٩٩٦، ومنذ ذلك الحين راقبت الأوضاع عن كتب من خلال الجرائد والمجلات والكتب وعن طريق الاتصال بالأكراد المقيمين في الولايات المتحدة والعالم الغربي. كما قمت بعدة زيارات إلى تركيا والعراق استغرقت كلاً منها أسابيع واحياناً اشهراً.

– مثلي مثل الباحثين والكتاب الآخرين الذين قضوا وقتاً في تركيا وتعلموا لغتها فقد وقعت تحت سحر و جمال طبيعتها وأهلها واصبحت أعد الايام لحين موعد رحلتي السنوية حتى أُري طلابي عجائب البلاد التأريخية والطبيعة ولكي أقدمهم إلى أناس من لطفاء وكرماء واجعلهم يتمتعون بتراث وثقافه وطاقات بلد هو في طريق النمو والتحول، في الوقت الذي يركز هذا الكتاب على معضلة الكورد (فان هنالك شيء آخر لتركيا أمل أن يستطيع شعب هذا البلد الرائع إيجاد حل عادل يرضي جميع المواطنين مثلما تحاول الولايات المتحدة وكل البلدان في العالم تحقيق ذلك يقول بيرنار دلويس الباحث الغربي للتأريخ الاسلامي أن من بين اعضاء المؤتمر الاسلامي السبعة والخمسون أقام عضو واحد فقط (تركيا) مؤسسات ديمقراطية وأحرز تقدماً في إقامة إقتصاد حر و مجتمع ديمقراطي ونظام سياسي برلماني (ولكن حرية الثقافة والنشر والتعبير عن الهوية كان محظوراً على الكورد والذين تجرعوا الويلات خلال عقود طويلة على أيدي الحكام الترك) المترجم.

– إن هذا البحث لهو ثمرة ٢٥ سنة في العيش بين الكورد و الاهتمام بهم. أنه ليس سرد مفصل لتاريخهم ولا هو تقييم لوضعهم السياسي الراهن إنه رحلة في ثقافة لها جذور إلى ما قبل التأريخ ومستمرة إلى بداية القرن العشرين وتتردد في الكتاب أصوات الكورد وهم يتحدثون قراهم الأصلية وجبالهم ومن المهجر. وقبل الخوض في وصف الطريقة المتبعة في جميع البيانات دعونا نوضح ما المقصود بالثقافة؟.

– استعملت مئات من التعاريف من قبل العلماء مع فروقات طفيفة بين تعريف

وآخر، إن التعريف الذي قدمه عالم الاجناس جورج فوستر هو أشملها وابسطها حيث يعُرف الثقافة بأنها مجموعة القواعد التي ترينا طريقة حياة أعضاء مجموعة اجتماعية ومهما تظهر الثقافة مربكة بالنسبة إلى الغرباء عنها فانها تعمل للمجتمع وتعطي لاعضائه شعوراً بالتماسك للعمل على مواجهة تعقيدات الحياة.

هناك جوانب في الثقافة الكوردية أثارت لديّ الحيرة و لكن على أن لا أنسى بأن ثقافتي قد تبدو محيرة ومركبة وغير منطقية إلى الكورد مثلما بدت ثقافتهم إليّ في بعض الأحيان، يستعمل علماء الاجناس جبل الجليد لتوضيح مفهوم الثقافة، ما هو ظاهر منه فوق الماء يمثل النواحي المادية و المنظورة من الثقافة ويشمل هذا الغذاء والملبس وفن العمارة وأشكال النقل والايماءات والخصائص التي يمكن ملاحظتها في المجتمع، أما القسم الموجود تحت سطح الماء من الجبل الجليدي فيمثل القيم الأصيلة والمعتقدات والأبعاد القابلة للادراك التي يعرفها المطلع ولكن على الغرباء عنها محاولة تعلمها بدقة وامعان، في الوقت الذي يمكن ملاحظة النواحي الخارجية المادية الملموسة للثقافة فان النواحي المضمورة منها تتطلب صبراً وجهداً مستمراً حتى يمكن فهمها وإدراكها.

طريقة البحث

– جرى تصوير الكورد وبشكل مستمر على أنهم ضحايا السياسة في الشرق الاوسط وإنهم قطعة من أحجية معقدة ولكنها قطعة مهمة يتطلب وضعها في المكان الصحيح عند البحث عن الحلول للمشاكل التي تواجه الشرق الأوسط، أحدى الطرق لحل الاحجية هي اجراء بحث وصفي ومنهجي. الأنثروغرافية تعني خلق صورة للثقافة المعاصرة ومن اجل كتابة وصف أو خلق صورة على الباحث أن يتعلم كل ما يستطيع تعلمه حول ثقافه معينة ومعرفة نظرة افراد هذه الثقافة إلى العالم، عليه أخذ النواحي المختلفة للثقافة واجراء بحث ميداني ومشاركة الناس في أسلوب حياتهم واجراء مقابلات معهم.

اجراء العمل الميداني:

- إذا ادركنا أن البحث الميداني هو لب الانثرغرافيا فأنه يصبح من المهم إقامة ما نسميه العمل الميداني، إن العمل الميداني أساسه الملاحظة والمقابلة الأنثوغرافية (مقابلة الأفراد). الملاحظة نمط من انماط التعلم التجريبي وتأتي من خلال معايشة الشخص أفراد المجتمع ومشاركتهم في طريقة حياتهم وتعلم لغتهم، بالنسبة لي كان العمل الميداني على شكل ليال قضتيها مع الناس في مخيماتهم ومشاركتهم في الرقص اثناء حفلات الزواج وفي الاحتفالات الاخرى وصعود الجبال للوصول إلى كبار السن منهم للاستماع إلى قصص هروبهم من قوات صدام.

- لاحظت وجود فقر كبير عندما تحدثت إلى الأرامل والأطفال الذين قتل ازواجهم وآباؤهم على ايدي قوات صدام. كان هؤلاء يعيشون في ابنية شبه مهدمه بدون كهرباء او تدفئة كما لاحظت دلائل ظهور طبقة جديدة من الأثرياء الذين استفادوا من التغييرات التي حصلت في كل من تركيا و العراق، الملاحظة الميدانية تشمل ايضاً ملاحظة الثقافة ووصف مايشاهده الباحث بالتفصيل وهي عملية يصنعها كليفورد غيريز بالوصف ، ويشمل العمل الميداني إيضاً معايشة الحياة الثقافية.

- الملاحظة والمشاركة لا تكفي وحدها لضمان فهم دقيق للمجتمع. اجراء مقابلات مع أفراد من المجتمع ضروري للباحث. هنالك انواع عديدة من المقابلات يمكن استخدامها مع الذين تجري المقابلة الثقافية معهم، ومع أنني اجريت بعض المقابلات الرسمية التي سجلتها على أشرطة الفيديو فانني بشكل رئيس اجريت مقابلات غير رسمية مع عدد من الاشخاص حول تجاربهم الخاصة والاحداث التي عاشوها.

لم يجر تسجيل هذه المقابلات ولم أدون ماهية ما جرى بيني وبينهم الا بعد انتهاء المقابلة.

- كان كورد العراق سعداء أن نجري معهم المقابلات وأن نشاركهم المعلومات

عن حياتهم في اللقاءات الرسمية (وهي التي ندون فيها المعلومات) لم يكن لديهم مانع في تسجيل أقوالهم ولم يكونوا يخشون التحدث بصراحة، ركزت في مقابلاتي على كبار سن لاتساع تجربتهم في الحياة مثل عمليات الانفال وهدم القرى والهروب إلى جبال تركيا وإلى ايران وكيفية نظرتهم إلى ثقافتهم وهي تتغير.

– أما في المقابلات غير الرسمية (التي لم تسجل ولم تدون) فقد التقيت بعدد كبير من الكورد وشمل مختلف الأعمار وخصوصاً كبار السن من القرى والمدن. بين مايس وايلول ٢٠٠٥ أجريت اكثر من ١٠٠ مقابلة غير رسمية و رسميه في تركيا.

أما في كوردستان العراق فقد اجريت ٧ مقابلات رسمية و ٥ غير رسمية، كما أني اعتمد في أوقات معينه على ٨ مقابلات مع اكراد يقيمون في الولايات المتحدة وكندا وأوضح عدداً من النقاط بالاعتماد على مقابلات سابقة أجريتها في بداية ١٩٨٢ مع بعض من الأكراد عندما التقيت بهم لأول مرة في تركيا.

التعامل مع البيانات وكيفية معالجتها

– يقوم الباحث عادة بجمع مئات الصفحات من الملاحظات المبنيّة على الملاحظة والمقابلات، وهناك بعد أخر للبحث ويشمل التحقيق فيما جمعه وتعلمه الآخرون عن ثقافة معينة، عالم الأجناس هاري وولكوت يلخص العناصر التي تنطوي عليها عملية جمع البيانات في كلمات ثلاث، هي معاينتها واختبارها والتحقيق فيها، المعانية والدراسة تركز على ماكتبه الآخرون ولاتشمل ذلك الدراسات الاثنوغرافية فقط التي هي في حالة الكورد جد قليلة بل وأيضاً تواريخ طويلة وفصولاً في كتب حول قضايا الشرق الاوسط ومقالات خاصة في مجلات متخصصة. اما الاختبار فهو المعلومة المكتوية على شكل ملاحظات مع الاستعانة بالوصف. أما التحقيق فهو البيانات الاولية التي جمعت في المقابلات الرسمية وغير الرسمية. هذه العناصر الثلاثة الامتحانات والفحص و الاختبار والتحقيق) تنطوي على عنصر آخر هو التحليل وذلك بتجزئة البيانات إلى مواضيع أساسيه

بدون التحليل تكون الملاحظات الميدانية مجرد اجزاء عشوائية لاتحوي قصة، واخيراً هنالك التفسير حيث يحاول الباحث استخلاص نتائج من الشيء الذي تعلمهُ أثناء العمل، وينفذ هذا من خلال تعاون أولئك الذين أعطوا المعلومات من أصحاب الثقافة حتى يتم ضمان التفسير الدقيق.

– وكمثال على التفسير الخاطيء هو ملاحظتي في كل أنحاء تركيا عن استخدام معظم المطاعم والمقاهي ومحلات الوجبات السريعة الكرسي بدون حسن للظهر وله أربع أرجل و استخدام موائد صغيرة بدلاً من الكراسي العادية والموائد الكبيرة وبسبب تواجد هذا النوع بشكل كبير في القسم الشرقي من تركيا حيث الغالبية كوردية فقد ظننت أن اسطنبول والمدن الغربية التي نزَح اليها الكورد قد تاثرت بالتقليد الكوردي وتكيفت معه، عندما أدليت بملاحظاتي هذه إلى عدد ممن استشرت ارائهم أخبروني بأن استخدام هذا النوع من الكرسي والمائدة هو سبب إقتصادي وليس له علاقة بالتقليد والثقافة الكوردية، باستخدام الكرسي الصغير عديم المسند الظهري والمائدة الصغيرة يكون باستطاعة المطعم استيعاب أعداد اكبر لأن الكراسي بدون مسند لاتشغل حيزاً كبيراً كما انها غير مريحة، وبذلك لايبقى الزبون طويلاً بعد تناول الوجبة أو الشاي فينصرف ويفسح المجال لغيره، بعد تلقيه لنفس الاجابة من عدد من الاشخاص تمكنت من تصحيح انطباعي.

– أما العنصر الأخر الذي يجب مراعاته فهوَ التقديمً الذي يركز على الطريقة التي يطرح بها الباحث بحثه إلى الاشخاص من ذوي الخبرة القليلة، أستطيع أن أقدم الكورد حسب ثقافتهم المثالية محبباً إلى الناس اسلوبهم التقليدي في الحياة في الجبال وكذلك شجاعتهم في مواجهة قوات الحكومة و من استقبالهم وكرمهم للغرباء وتماسك العائلة عندهم الذي قاوم محاولات الصهر من قبل الدول القومية.

– كما يمكن للباحث التركيز على النواحي الأقل ايجابية مثل القتل غسلا للعار والنزاعات العشائرية والعائلية و تهريب المخدرات الذي انتشر في الآونة الاخيرة وعلى مهنة القوادة والجريمة المنظمة. الباحث المنصف يوازن بين الثقافة المثالية

روبرت إل برينمان (٢)

والواقعيه فهو لا يمجد الثقافة برمتها أونواحي معينة فيها، على العكس من ذلك يتجنب التركيز على النواحي السلبية فيها، من المهم أن نعترف بأن لكل ثقافة محاسنها ومساوئها.

صعوبة إجراء البحث بين الكورد

- إذا اخذنا عددهم الكبير في الحسبان وكذلك أهميتهم الستراتيجية فانه أمر مثير للدهشة أن نجد عدداً قليلاً من البحوثات والدراسات قد أجريت عليهم أحد الاسباب في ذلك يكمن في صعوبة الوصول إلى مواطنهم في تركيا يصعب الحصول على رخصة (القوادة والدعارة كلمتان ليس لهما مرادفات في اللغة الكوردية والكورد استعاروا الكلمتين من التركية والعربية، مهنة القوادة انتشرت في تركيا بعد قدوم آلاف النساء المومسات من بلدان الاتحاد السوفيتي السابق) المترجم.

لإجراء بحث عن الكورد، لأن الحكومة التركية تشعر أن التأكيد على مجموعة معينة فحسب في البحث يحرك الموقف نحو التمزق الاجتماعي. الحكومة لاتريد لمجموعات عرقية أن تفصح عن هوتيها حتى لا تكون هذه الهوية بديلاً عن الهوية التركية الكبرى والتي تجعل الجميع جزءً لاتيجزأ من تركيا أجربت في السابق أبحاث ودراسات عديدة ذات طبيعة اجتماعية ولكن البيانات فيها موزعة حسب المناطق وليس حسب العرف، ومع كون السكان في الأناضول الشرقية وجنوب شرقي البلاد كورداً في غالبيتهم فان هنالك عرباً وتركاً ومجموعات عرقية صغيرة اخرى، اما في غرب البلاد إن كانت الأغلبية تركية فان هنالك ملايين من الكورد المهاجرين ولكنهم لايعرفون بالهوية القومية لكل هذه الأسباب لم أجد الا عدداً يسيراً جداً من الدراسات التي يمكن الاستفادة منها.

- كما أن كوردستان العراق هي الأخرى لم تكن مفتوحة أمام الباحثين حتى السنوات الأخيرة في القرن العشرين، أخبرني كثيرون من الأكراد أنه لم يسبق لهم رؤية أجنبي من الغرب بينهم إلى يوم بدءٍ عملية توفير الملاذ الآمن من قبل الحلفاء إن جميع الابحاث و الدراسات التي اجربت هناك كانت ذات طابع

سياسي وتأريخي تهتم بارتباط المسألة الكوردية بسياسات الشرق الأوسط واقتصادياتها.

- إن احدى الصعوبات التي ينطوي عليها البحث الاثنوغرافيا هي خطورة تحول البحث إلى مهمة صحفية. الصحافة تركز على عمل غير اعتيادي او على حدث معين أو على أشخاص لهم أهمية خاصة او على نشاط معين، أما البحث الميداني فانه عادة يهتم بالحياة اليومية لمجموعة من أناس عاديين غير معروفين خارج دائرة نفوذهم بالاضافه إلى ذلك فأن القصص التي يكتبها الصحفيون تتضمن تعليقات سياسية، ومع أنه كان من الصعوبة تفادي المواضيع السياسية التي تمس حياة الكورد فقد حاولت كل جهدي أن أقلل من التعليق السياسي في البحث.

- في بحثي الميداني كان من الصعب تركيز نقاشاتي مع من استطلعت آراءهم على النواحي العامة للثقافة حين كان اكثرهم يريدون مناقشة الاقتصاد والكفاح، الاستقرار المالي بدون أدنى شك سمة من سمات الثقافة وكان هذا الشيء يستحوذ على أذهان من كنت استطلع آراءَهم وأُجري البحث معهم إلى درجة عرقل وصولي إلى معلومات ثقافية أخرى، يقول اندرو مانغو أن الناس في مدينة سيرت الكوردية كان هاجسهم الاول الاقتصاد كأن تقوم الحكومة ببناء معمل لهم وليس الحقوق الثقافية لهم.

الفصل الثاني

التاريخ والهوية القومية

- من بين العناصر المهمة في التأريخ الكوردي الممتد على مدى الآف السنين تطور الهوية الكوردية القومية الواضحة يقول صاموئيل هانتنغتون Huntiogton مؤلف كتاب "صراع الحضارات" المثير الجدل أنه عند التعامل مع مشكلة الهوية فان مايهم الناس هو الدم والعقيدة والايمان والعائلة.

الناس عادة يلتمون حول أولئك الذين لهم نسب متشابه أو دين متشابه أوقيم متشابهة ويبتعدون عن أولئك الذين لهم قيم وديانات ولغات مختلفة عن قيمهم ولغاتهم ودياناتهم، تأريخياً قامت الهوية على الدين أو على الارتباط العشائري. إن الشعور بهوية قومية واضحة تشمل الدين والعشيرة ولكن يتخطاهما إلى أبعد من ذلك هو نشوء جديد نسبياً ولكنه قوي.

هذا التحول في الهوية حصل للكورد بعد الحرب الأولى عندما تحولت تركيا من الامبراطورية التي كانت لها أسس قوية للهوية الدينية إلى دولة معاصرة تساير الثقافة الغربية وأضطر معها الكورد إلى صياغة جديدة للشعور القومي.

قمع التاريخ الكوردي

يدرك الكورد بأنهم شعب عريق جداً ولهم جدور عميقة في أرضهم ولكنهم لايملكون الكثير من المعلومات عن بداياتهم وإذا سألهم سائل أن كانوا يعرفون بأنهم أحفاد الميديين القدامي- سكان ميديا - فان جوابهم على السؤال انهم سمعوا شيئاً من هذا القبيل عن الميديين وأنهم أسلافهم ولكن لم تسنح لهم الفرصة لدراستهم ومعرفتهم لأن العرب و الترك والفرس لايريدون للكورد معرفة

تراثهم وثقافهم. وهم أيضاً لايعرفون بشكل جيد بأنهم شعب أري مرتبط بأوروبا وعرقياً ولغوياً مرتبطون بالفرس.

يدرك الكورد أهمية الرجوع بأصولهم إلى الأزمنة الغابرة ولكن قلة منهم استطاعوا إجراء بحوث على أسس أكاديمية، بدأ الموقف بالتغيير وخاصة في كوردستان العراق حيث أقيمت جامعات جديدة وأضيفت أقسام للدراسة الكوردية.

- تأريخياً ظهر الكورد على المسرح وعرفوا كقوم جبلي يهابهم الأخرون لقدراتهم القتالية العالية وهجماتهم الشرسة، أول ذكر لاحتكاكهم بالغرب ظهر في كتابات الكاتب اليوناني أناباسيس (Anabasis) الذي كتب أن الجيش اليوناني بقيادة زينوفون عند انسحابه من ميسوپوتاميا إلى سواحل البحر الاسود واجه قوماً عرفوا باسم كاردوخوي حوالي عام ٤٠٠ قبل ميلاد، إذا حذفنا اضافة الجمع الارمنية "خوي" "choi" فأن الكلمة الاصلية تبقى كاردو وهو الاسم الذي كان يطلق على سكان المنطقة الجبلية إن صورة الكوردي كمقاتل جبلي شديد المراس بعيدة كل البعد عن صورة الكوردي الوديع الضحية اليوم. إن كثيراً من أحداث التأريخ في الشرق الاوسط كتب من قبل أولئك الذين كانوا في الحكم ولم يكن الكورد في موقف الحكام لمدة ٨٠٠ سنة ومع قلة الاهتمام بأصول الكورد وبداياتهم وأسلوب معيشتهم من قبل البعض فان مهرباد أزادي يبين كيف أن قدراً كبيراً من الدلائل الاثرية يشير إلى منطقة الجبال الكوردية كونها موطن اختراع الزراعة قبل ١٢,٠٠٠ سنة تقريباً. ومن موطن الكورد انتشر هذا الإكتشاف الثوري إلى سهول ميسوپوتاميا إلى هضاب الاناضول وإلى الهضبة الايرانية و قبل ٨٠٠٠ سنة وصلت إلى شمال افريقيا وأوروبا وشبه القارة الهندية، إن كوردستان هي الموطن الاصلي لكثير من الحبوب والحيوانات الداجنة.

- إن الأدلة على مهارة الكورد الفائقة في زراعة الحنطة والشعير والعدس والأعناب رافقتها اكتشافات تدل على قدرة أجداد الكورد على تدجين الاغنام والكلاب والخنازير قبل الألف التاسع قبل الميلاد قرب مدينة دياربكر الحالية.

تأريخ الكورد القديم الى العهد العثماني

- إن قروناً من الغزوات والحروب وموجات الهجرة والزواج القبلي والاختلاط بين الاجناس المختلفة جميعها جعل من العسير تتبع أصول الكورد إلى الأزمنة القديمة، ولكن من المحتمل بأن تأريخهم يعود إلى زمن مادي Madai الذي هو أحد أحفاد نوح. إن خرائط الكتاب المقدس ترينا كيف أن الميديين القدامى كانوا يقطنون المنطقة التي يسكنها الكورد اليوم يقول عالم اللاهوت الهولندي ألان فان وولد (Wolde) أن مادي (madai) كانوا ميديين نزحوا إلى الجنود من بحر قزوين وإلى شمال دجلة. هذه المنطقة كانت مسكونة من قبل الكورد وشملت منطقة أرارات الجبلية في شرق تركيا حيث يعتقد أن سفينة نوح أستقرت عندما انحسرت مياه الفيضان.

- ومنذ عهدالامبراطوريات الآشورية ١١٨٠ - ٦٠٩ قبل الميلاد تواجد مجمع يهودي كبير في كوردستان يؤكد أندرو بل فيالكوف (Fialkof) في كتاب له يبحث في تأريخ التطهير العرقي، الاخبار التي وردت في العهد القديم حول نفي يهود ومعظمهم من سراة القوم وبلغ تعدادهم نحو ٢٧,٢٩٠ يهودي إلى غوزان وميديا اللتان كانتا في كوردستان الحالية في ٧٢١ قبل الميلاد، وبعد ١٢٤ سنة تقريباً تم الاستيلاء على مملكة جودة من قبل البابليين، وتور فايلكوف عدد من وقع في أسر البابليين وتم نفيهم من جودة إلى بابل بحوالي ١٠,٠٠٠ شخص. يبدو أن هؤلاء اليهود كانوا جداً ناجحين في تحويل وسط كوردستان إلى الديانة اليهودية.

ومن المحتمل أن قصة التوراة عن دانيال في عرين الأسد تعود إلى هذه الحقبة من التأريخ. تقول قصة دانيال بأن الملك داريوس الميدي وبعد نجاة دانيال من الأسود أصدر مرسوماً بأمر الناس بالخضوع لإله دانيال وقد يكون هذا الحدث الكبير عاملاً مهماً في تحويل وسط كوردستان إلى اليهودية.

- كانت في زاخو التي عشت فيها مع عائلتي لمدة أربع سنوات محلة يهودية إلى ايام قيام الدولة العبرية في ١٩٤٨ حيث هاجر يهود العراق البالغ عددهم

١٢٥,٠٠٠ إلى اسرائيل ١٩٥٠ و ١٩٥١. تقع بلدة زاخو على ضفاف نهر الخابور المكان الذي قيل عنه أنه كان منفى اليهود في القرن الثامن قبل الميلاد.

بالاضافة إلى الميديين الذين دخلوا الديانة اليهودية كانت هنالك فترات أصبح فيها كثيرون من الكورد من أتباع الديانة النصرانية، إن اعتناق الكورد لليهودية أو النصرانية كان في السابق جزءً من نظام عقائدي يدعى الإيزيدية وهي احدى العبادات للملائكة، وطبقاً لما يورده العهد الجديد الانجيل) فأنه في يوم الحصاد تملك حواريي يسوع روح القدس (كان هؤلاء الحواريون يهوداً) وبدأ الحواريون يتكلمون بلغات بمساعدة روح القدس. كانت إحدى اللغات التي تكلموا بها هي اللغة الميدية وبذلك أصبح محتملاً أن هؤلاء اليهود جعلوا الميديين يدخلون المسيحية وذلك بخمسين يوم بعد صلب المسيح بعد عودتهم إلى مدينتهم على ضفاف الخابور. أن مجتمعات مسيحية صغيرة والتي قاومت اعتناق الدين الاسلامي في أيامه الاولى لاتزال موجودة في المنطقة.

جويدة Jwaidch يبحث في أهل الكورد بشكل أعمق عن غيرة وهو بذلك يزودنا بوجهة نظر من زاوية مختلفة. بقوله أن الكورد هم أبعد أن يكونوا شعباً ايرانياً نقياً أو اندو اوروبياً نقياً حيث أن موجات القاهرين وجيوشهم اكتسحوا مانسميه اليوم كوردستان تاركين، بصماتهم العرفية والثقافية واللغوية عليها، إن سكان زاجروس الأوائل من غوتيين ولولويين وكاشو (Kashshu) كانوا على صلة بالعيلاميين ELamites.

وفي الالفية الثانية قبل الميلاد اجتاح الحثيون (Hittites) الذين هم من الأقوام الاندو اوروبية ميسوبوتامينا والاناضول وأرمينا وكوردستان، الأمر الذي أعطى الكورد صفتهم الإيرانية من خلال عملية بطيئة وطويلة يطلق عليها جويدة اسم أيرنة Iranization شعوب زاجروس وطوروس الجبلية.

حدث هذا مع ظهور الميديين والفرس والشعوب الايرانية الاخرى في كوردستان. هذه وجهة نظر لاتناقض قصص الأنجيل عن كون ميديا من أحفاد نوح وهو بذلك جد للكورد، أنها تشير أن الكورد خليط من أقوام قديمة ومن هذه الأقوام الميديون والشعوب الايرانية وكذلك شعوب المنطقة الاصليون.

ـ هنالك غموض يكتنف أصول الكورد مثلما هي الحالة مع معظم الاقوام القديمة، غير أن اصول الكورد تحمل في ثناياها تشعباً سياسياً مهماً للكورد الذين يضطهدون ويستغلون اليوم من قبل شعوب أخرى، اسماعيل بيشكجي الباحث الاجتماعي التركي الذي دخل السجن لكتاباته عن الكورد يقول: سكن الكورد كوردستان لأربعة آلاف سنة بينما تحرك الترك من اسيا الوسطى إلى كوردستان وايران والعراق وسوريا والاناضول في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، أساء الترك معاملة سكان هذه البلدان الأصليين، إن محو الشعب الكوردي وتراثه يعتبر عملاً همجياً، تعتبر الدعوة لجعل الشعب الكوردي حراً يعيش على قدم المساواة مع الترك عملاً ينسف الكبرياء القومي التركي، في الحقيقة لاتشكل المطالبة بمساواة الكورد مع الترك تهديداً للكبرياء التركي.

– وكمثال على محاولات المتطرفين الترك لطمس الهوية الكوردية هو انكارهم بوجود لغة كوردية مميزة ويقولون أن الكوردية هي مزيج من التركية والعربية والفارسية ويشيرون إلى الكورد على انهم "ترك الجبال". لأنهم عاشوا بين سلاسل جبلية وعرة ومعزولة عن الجماعات الأخرى وانحرفوا لغوياً عن أصلهم التركي، بقي هذا النمط من التفكير سائداً إلى زمن حرب الخليج حيث اعتدال في النظرة التركية إلى الكورد، الترك يلقون باللائمة على قوى خارجية في تنامي الحس القومي لدى الكورد من أجل إضعاف تركيا وتقسيمها.

دخول الكورد في الاسلام

– الإيزيدية هي الديانة الأصلية للكورد، إذا علمنا أن كثيرين من الكورد كانوا على الديانه الايزيدية وبعد ذلك اعتنق الكثيرون اليهودية ومن بعدها النصرانية فالسؤال هو كيف أصبح هذا العدد الكبير منهم مسلمين ؟ كان أول احتكاك للكورد بالجيوش العربية المسلمة في ٦٣٧م. قاوموا في البداية الزحف الاسلامي ولكنهم عندما استيقنوا أن لاقبل لهم بهذه الجيوش خضع زعماؤهم الواحد بعد الاخر لحكم.

القادمين الجدد، في فترة حكم بني أمية (٦٦١– ٧٥٠) وحكم بني عباس

(٧٥٠ - ١٢٩٩) وفي الفترة التي سكت ذلك ثار الكورد ضد حكم العرب ولكنهم عجزوا عن التغلب عليهم، الحكم العربي وبشكل عام لم يكن متعسفاً وقمعياً كما يظهر من النسبة العالية من الكورد الذين لم يدخلوا في الاسلام في آخر الأمر وجد الكورد أن من مصلحتهم الاقتصادية والاجتماعية الخضوع للعقيدة الجديدة، كانت عملية ودخولهم الدين الاسلامي عملية بطيئة إلا في حالات الاحتكاك المباشر بينهم وبين العرب الحديثي العهد بالاسلام، وإلى القرن الثالث عشر الميلادي كان الكورد يحاربون القبائل العربية عندما كانوا لايزالون على عقيدتهم الايزيدية، أشهر الشخصيات الكوردية التأريخية هو صلاح الدين (١١٩٢) الذي دافع عن الاسلام ضد الصليبيين وعقد هدنة مع ريجارد قلب الاسد في (١١٢٩) ولايزال يذكر بالاحترام والتقدير...

كونه كان قائداً عطوفاً وحاز على إحترام أعدائه وهو ينقذ الاسادم من الصليبيين، ومع أن هويته الكوردية معترف بها من قبل المؤرخين في القرون الوسطى فانها اليوم تنكر من قبل بعض المؤرخين العرب والمسلمين.

- في القرن العاشر الميلادي بدأت القبائل التركية بالنزوح في آسيا الوسطى وزحفت على مناطق اقامة الكورد بمساعدة السكان غير الترك الذين كانوا يعيشون في شرق الأناضول، إنه خليط من الترك وغيرهم الذين أقاموا ما أصبح الامبراطورية العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٣) التي كانت إحدى أقوى الكيانات التي ظهرت في التأريخ، طوال عمر الامبراطورية تمتع الكورد بحرية نسبية وهم يعيشون في كنف الأغوات في إمارات سنية شبه مستقلة إلى القرن التاسع عشر.

الهوية الكوردية في عهد الامبراطورية العثمانية

- أثناء فترة حكم الامبراطورية كان الأدب الكوردي والموسيقى وجميع اشكال التعبير الثقافي والفني مزدهراً إلى بداية القرن التاسع عشر ولم يكن هنالك بعد شعور قوي بالهوية الكوردية حيث كان الشعور بوجود الأمة (المجتمع الاسلامي) كان أقوى من كل شعور في ظل نظام "ملة" Millet كانت المجموعات العرقية مثل الأرمن والآشوريين واليهود (تعتبر أقليات لها هوياتها وسمح لها بالتعبير عن

طريق ثقافاتها وكانت لها مدارسها ودور العبادة الخاصة بها.

- بالاضافة إلى شعور الانتماء إلى الأمة كان هنالك الإرتباط العشائري الذي ساهم في شعور الناس بالهوية، يقول كيندال إن مفهوم " أنا" قلما وجد في النظام العشائري ومفهوم نحن كان هو السائد. الناس أعضاء في العشيرة اولاً ثم هم يزيديون او نصاري او مسلمون والقول بانهم ينتمون إلى مجموعة قومية كأن تكون كوردية مثلاً يأتي في المرتبة الثالثة.

- لفرض السيطرة على العشائر الكوردية عمدت الامبرطورية إلى تشكيل فدراليات تضم عدة عشائر بزعامة أغا أوأمير يعتقد أنه من نسل النبي لإعطائهم وضعاً دينياً، ولغرض الاحتفاظ بسيطرتهم على العشيرة اعتمد الأجر على الدولة، منذ بداية القرن السادس عشر ومع سيطرة السلاطين على المنطقة الكوردية سمحت الدولة للإمارات الكوردية بقدر من الاستقلالية حتى لاتقع هذه الامارات في أيدي الدولة الصفوية المجاورة، بقيت الاستقلالية هذه حتى العقود الاولى من التاسع عشر، بحلول القرن دمج أخر امارة كوردية في النظام العثماني، من بين هؤلاء الأمراء والشيوخ وليس من بين الطبقة الوسطى ظهر معظم القادة القوميون الكورد في الأيام الاخيرة للأمبراطورية والأيام الاولى للجمهورية التركية.

- مرّت الامبراطورية العثمانية بتطور و توسع كبيرين في الفترة من ١٤٥٣ إلى ١٥٦٦ - أتت هذه الفترة المزدهرة من عمر الامبراطورية على نهايتها بسلسة من الهزائم البحرية التي مُنيت بها وأيضاً بسبب الركود الاقتصادي الذي أصابها وحدوث تمرد في الاناضول والفساد الاداري الذي استشري في جسد الامبراطورية، شهد القرن الثامن عشر محاولات للأصلاح وتقليص الحكم المركزي وتقوية حكم الاقاليم وسلسله من الحروب مع الروس وفي القرن التاسع عشر اضطرات الامبراطورية إلى التصدي للإنتفاضات القومية عندما أعلنت كثير من الامارات استقلالها، في هذه الفترة كانت القوى الغربية الكبرى تبني مؤسساتها التجارية بالقرب من كوردستان ولكن الامبراطورية كانت تخشى الروس أكثر من غيرهم كما أن الأرمن الذين لم يكونوا يشعرون بالولاء

للأمبراطورية المسلمة ساعدوا الروس في مخططاتهم حول الأناضول فاستنجدت الامبراطورية بالكورد للدفاع عن أرضهم وعن الاسلام ضد الكفرة الأرمن.!

إلى القرن العشرين كان الكورد لايزالون يشكلون جزءً من الأمة الاسلامية وينعمون بوضع متميز بسبب اخلاصهم للاسلام وتفانيهم في الدفاع عن خليفة المسلمين. استمر العثمانيون في استخدام الكورد كمخلب قط لمحاربة الجماعات غير المسلمة، لقد قاتل الكورد في السابق إلى جانب العثمانيين لحماية الامبراطورية من التهديدات الخارجية وخاصة التهديد الروسي، كان الأرمن متعاطفين مع الروس و كان الكورد يخشون فقدان وطنهم إذا ما سيطر الروس ومعهم الأرمن على الاراضي الكوردية، لهذا السبب فقد وقفوا إلى جانب سلطان المسلمين، نادى السلطان عبدالحميد الثاني بالتضامن الاسلامي ومنح الشيخ عبيدالله امتيازات غير مسبوقة حتى يقاتل الأرمن، وبما أن الامبراطورية كانت في أضعف فتراتها بحيت انها كانت توصف من قبل الغرب بالرجل المريضً فقد علت أصوات داخل الامبراطورية تنادي باحداث تغيير وادخال إصلاحات...

- كانت لجنة الاتحاد والترقي تعمل بشكل سري ولسنوات طويلة لإنشاء دولة علمانية على النمط الغربي وتكللت جهودها بثورة الترك الشباب في ١٩٠٨، في البداية ابتهج الترك والكورد والعرب وحتى الأرمن المسيحيون بالثورة، ولكن القوى الرجعية في الداخل والخارج عملت ضد الثورة، وبعد أن شعر البلغاريون بضعف الحكومة اعلنوا عن استقلالهم. كما اعلنت النمسا و هنغاريا ضم البوسنة وهيرزكوفينا. استشاطت القوى الموالية للسلطان في الداخل غضباً ازاء ماحصل ولكن ما باليد من حيله، بدأ الترك الشباب بغلق النوادي السياسية والجمعيات والصحف في محاولة لسحق المعارضة وفي مخطط يهدف إلى التتريك، شعر الكورد بالاحباط لأسباب قومية ودينية ازاء الدولة العلمانية والقومية التركية، يقول ديفيد مالدوال الخبير في الشؤون الكوردية أنه من سخرية الأقدار أن الكورد اشتركوا في تحطيم الأرمن من دون أن يفطنوا إلى خطط الترك الشباب ضدهم.

صدر مرسوم سلطاني يجيز ترحيل الكورد واعادة تواطنيهم في الأناضول

الغربية و في أماكن لاتزيد نسبتهم إلى سكان المنطقة عن ٥٪، أما الاغوات و ذووا النفوذ فقد جرى ترحيلهم إلى المدن مع قطع كل وسائل الاتصال لهم مع عشائرهم، يقدر ماكدوال عدد الذين تم تهجيرهم بنحو ٧٠٠،٠٠٠ نسخة وهلك منهم الألوف وتم توطينهم في مناطق غير كوردية في الاناضول الغربية، وترك اخرون قراهم خوفاً من انتقام روسي – أرمني.

– في ١٩١٧ قام الروس بهجوم على الأراضي العثمانية و استولوا على اكثر أجزاء اناضول الشرقية. قامت الحكومة بترحيل الكورد قسراً من المنطقة المحيطة بدياربكر. وأسكنتهم بشكل أجباري في ما يعرف اليوم بكوردستان العراق وسوريا وفي مناطق من تركيا لايشكل الكورد فيها الأغلبية السكانية وأخيراً تمكن مصطفى كمال من دفع الروس إلى الوراء. وبسبب الثورة البولشيفية والغوضى التي أعقبت ذلك أصيب الجيش الروسي باشلل وبدأ بالانسحاب، وفي عملية الانسحاب سمح للأرمن بالأنتقام من المسلمين وهم ينسحبون مع الروس إلى موطنهم الجديد في أرمينيا السوفيتية التي أصبحت جمهورية ارمينيا. الانتقال من الامبراطورية إلى الدولة العلمانية ادى إلى إعادة رسم خارطة كوردستان.

– ومع انهيار الدولة العثمانية كان السؤال الذي يطرح هو، ماهو مصير ممتلكات الامبراطورية؟

حاولت معاهدة سايكس بيكو تقسيم الامبراطورية إلى مناطق نفوذ للروس والفرنسيين والبريطانين والطليان واليونايين، أصحبت المناطق الكوردية من نصيب الروس والفرنسين، وانتاب الكورد خوف من أن ينقلب عليهم الحلفاء بسبب مجاز الأرمن التي كانت لبعض الأغوات يدفيها. ارادت بريطانيا لنفسها ميسوبوتاميا لمخزوناتها النفطية جرى استعراض عدد من الخيارات التي كانت ستعطي الكورد بعض الولايات في شرق تركيا ولكن لم يتول الكورد أبداً حكمها، بدلاً من ذلك دفع إحتلال اليونان لمنطقة سمايرنا والإيطاليون لأنتاليا بالكورد إلى التوحد مع الترك بزعامة أتاتورك لانقاذ دولة الاسلام من المسيحيين.

معاهدت سيفر ولوزان

- ان الخلفية التي أدت إلى معاهدة سيفر في ١٩٢٠ يجب فهمها في خضم التعقيدات التي نجمت من التمرد الأرمني في الامبراطورية العثمانية أثناء الحرب الاولى وهزيمتها على أيدي الحلفاء وحرب الاستقلال التركية التي حولت الامبراطورية إلى دوله قومية عصرية، أن المعاهدة التي تفاوض عليها العثمانيون والحلفاء باستثناء روسيا والولايات المتحدة قسمت بعض الأقاليم بين الحلفاء ودعت إلى استقلال أرمنيا وكوردستان، على كل حال كان الكورد لايزالون يعرفون انفسهم على ضوء الارتباط الديني والعشائري ولم يستطيعوا تقديم قيادة موثوق بها، ولكن ومع قبول المفاوضة من قبل الحكومة الموجودة في اسطنبول فان الحكومة القومية المنافسة لها والتي يتزعمها كمال أتاتورك اعتبرتها جائرة ومفروضة بالقوة على تركيا، هذا الامر مهّد الطريق أمام أتاتورك للقضاء على الحرب الاهلية داخل البلاد والقتال دفاعاً عن الاسلام في وجه العدوان الخارجي، وبما أن كل شيء كان في تغيّر فانه لم يكن من العسير فهم سبب انضمام الكورد إلى أتاتورك، بعد أن تسنى له السيطرة على تركيا رفض أتاتورك معاهدة سيفر.

لقد كانت معاهد سيفر بالنسبة للكورد أحسن فرصة سنحت لهم على مرّ تأريخهم المعاصر ليحصلوا على وطن لهم وهم اليوم يتحسرون على خسارة هذه الفرصة الذهبية.

- بدأ التفاوض في لوزان على معاهدة أخرى تحل محل معاهدة سيفر في ١٩٢٣. سمحت المعاهدة لتركيا استعادة أقاليم خسرتها بموجب بنود معاهدة سيفر واستعادة سيادتها على أراضيها. لم تتضمن المعاهدة الجديدة أي بند حول دولة ارمنية أو كوردية، حصلت تركيا على كل ما أبتغته تقريباً بإستثناء ولاية الموصل الغنية بالنفط والتي أصبحت تحت الانتداب البريطاني. ومع أن معاهدة لوزان منحت حقوقاً ثقافية بما فيها حق كل شعب استعمال لغته فان هوية كوردية منفصلة ومتميزة أصبحت مرفوضة وأصبح الترك يسمون الكورد

بأتراك الجبل في المجالات الرسمية، أصبح الكورد موزعين بين دول قومية هي تركيا وايران والعراق وسوريا وهو تقسم لايزال قائماً إلى يومنا هذا، جرى إنكار هويتهم من قبل البعض وتجاهلها من قبل آخرين إلى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين.

إرث اتاتورك

- أن الدولة التركية القومية المعاصرة بتوجهاتها الغربية وايديولوجيتها القومية وتكيفها مع العصر يمكن ارجاعها الى ارث أتاتورك. كان مصطفى كمال أحد أهم القادة المؤثرين في القرن العشرين، لم يشهد شعب مثل هذا التحول الكبير في فترة قصيرة مثلما شهده الشعب التركي بزعامة اتاتورك، إنتزع أتاتورك النصر من بين فكي الهزيمة وطرد الغزاة وخلق دولة عصرية على طراز الدول الغربية وهي الأولى من نوعها في العالم الاسلامي، لقد عرف أتاتورك أن النجاح في خلق دولة قومية عصرية لايأتي إلا من خلال جعل المجتمع التركي مجتمعا علمانياً وبشكل سريع.

- أحد أهم التحديات التي واجهت أتاتورك في محاولته جعل تركيا دولة عصرية هو تشخيص دور الدين في الدولة. استعان بالهوية الاسلامية للشعب عندما تطلب الامر حشد الجماهير ضد القوى الأجنبية، ولكن لغرض تبديل مجتمع على النمط الأوروبي بآخر حكم بالشرع الاسلامي لقرون عديدة فان الأمر يحتاج إلى إعادة البناء، فقام بحظر الحجاب وغطاء الرأس التقليدي الاسلامي (طربوش) وغيرّ الانباء من العربية إلى اللاتينية ومنع المدارس الدينية وجميع الطرق الصوفية والغى نظام الخلافة وأسّس عاصمة علمانية في أنقرة جعل اتاتورك اللغة التركية لغة البلاد الرسمية وأمر بصهر جميع الأقوام المبنية قبلاً على الدين في الشعب التركي العظيم. أن ارثه للقومية العثمانية اصبح يعرف "بالكمالية".

- في الوقت الذي لم يتورع فيه اتاتورك من استخدام القسوة البالغة فانه أراق دماء أقل إذا ماقورن بالكثيرين من زعماء عصره. في تركيا يعتبر التمسك

بأرث اتاتورك مسؤولية مقدسة إلى يومنا هذا وتعلق صورته على واجهة كل بناية عامة وفي كل صف دراسي وعلى كل قطعة نقدية تركية، إن انتقاد أيدولوجية كمال مسألة تنطوي على الخطر ولوأن أصواتاً ضدّ الكمالية وخاصة بين الاسلاميين والكورد تسمع اليوم اكثر عن ذي قبل.

- أن الزائر إلى تركيا يستطيع تحسس كفاح البلاد في التعريف بنفسها كأمة. إنها تبدو مقسمة بين الشرق والغرب وبين العلمانية والدين وبين آسيا واوروبا، إنه خارج موصنوع كتابي مناقشة الوضع الديني بشكل معمق ولكن مع المسألة الكوردية يصبح دور الاسلام في المجتمع التركي المتمدن مدار البحث.

القطيعة بين الكمالية والكورد

- في ٣ أذار ١٩٢٤ وهو أيضاً يوم الغاء الخلافة صدر مرسوم الغى المدراس والاتحادات والمطبوعات والمدارس الدينية، إن القمع الثنائي ضد القومية الكوردية وضد التعبير السياسي للاسلام مهد الطريق أمام عدة انتفاضات كوردية ضد النظام الكمالي، البرفيسور الجامعي التركي عمر تاسبينار Tas-pinar يميز الفترة الواقعة بين ١٩٢٤ ، ١٩٣٨ كونها حقبة التمردات ويقول أن من بين ١٨ انتفاضة ضد انقرة كانت ١٧ منها كوردية. ولكن هنالك تساؤل إن كان الباعث وراءها دينياً لأن الكورد كانوا يرغبون بشكل اكبر نمط الحياة الاسلامية أو أن الباحث كان قومياً حيث انهم كانوا يرغبون في تعبير ثقافي حر لكورديتهم. كبرى هذه الثورات في ١٩٢٥ قادها الشيخ سعيد وكان يريد استعادة الخلافة وحقوقاً كوردية معاً، ويقدر عدد من قتل من الكورد بنحو ١٠٠,٠٠٠ كوردي ودمرت مئات القرى وتم ترحيل مليون كوردي.

- بالاضافة إلى ثورة شيخ سعيد حدثت أخرى في ديرسيم المعروفة اليوم باسم تونجلي التي هي منطقة فقيرقو وعرة في شرق تركيا. يقول كيندال أن احصائيات الحزب الشيوعي التركي تقدر عدد الكورد الذين رحلوا من مناطقهم بنحو ١.٥ مليون وقتل منهم الالوف، وبعد ١٩٣٧ خمدت الثورات واتسمت

الفترة من ١٩٣٧ إلى ١٩٧٧ بالهدوء وكونها خالية من الأحداث المثيرة بعد إخماد الثورات الكوردية الكبرى، ومع ذلك فان التطور الذي يشعر به الكورد تجاه الحكومة التركية لأسباب دينية وقومية باقٍ إلى يومنا هذا.

دور توركوت اوزال

توركوت اوزال (١٩٢٧- ١٩٩٣) كان رئيساً للوزراء بين ١٩٨٣ و ١٩٨٩ وأصبح رئيساً للجمهورية من ١٩٨٩ إلى ١٩٩١. لم يكن احد يعلم أن اوزال الذي هو أحد مهندسي عملية الملاذ الآمن سيكون واحداً من السياسة الذين تبنوا الساسة التركية التي انكرت وجود هوية كوردية، اتضح موقفه عندما اعلن في ١٩٨٩ أن فيه دماء كوردية وأن أمه كوردية.

- ولكن نظام حراسي القرى وأحكام الطوارىء كلاهما من أعمال اوزال التي وقف Pkk من هما بشدة، كما أن اوزال قدم مسودة قانون حول رفع الحظر على الكوردية باستثناء استخدامها في التعليم والنشر والاذاعة، كما أنه طرح مسألة العفو عن مقاتلي Pkk وانخراطهم في العملية السياسية عندما أعلن اوجلان عن وقف اطلاق النار من جانب واحد و خفض من سقف مطالبه في دولة كوردية مستقلة و بموت أوزال في ١٩٩٣ ساءت العلاقات بين الحكومة و Pkk لسنوات طويلة لاحقة.

دور Pkk

- في ١٩٧٤ توضحت القواعد الايدولوجية لما سيكون عليه Pkk في انقرة. كان الكثيرون من منظمي Pkk منتمين إلى أحزاب تركية يسارية ولكنهم نفروامنها بسبب موقف هذه الأحزاب من المسألة الكوردية. إن التأييد الذي ظهر لـ Pkk في بعض المناطق الكوردية كان سببه الشعور بالفخر للروح القومية التي احتضنها Pkk و ليست الايدولوجية اللينينية الماركسية التي تبناها. Pkk يطلب من أتباعه الولاء التام وليسمح للمرأة بالمشاركة في حرب العصابات إلى جانب الرجل الولاء لـ Pkk وقائده هوالاول وهو أهم من الولاء للعائلة أو العشيرة.

- لمواجـهتـه نفـوذ Pkk المتنامي شكلت الحكومـة حـراس القـرى على هيـأة مجموعات كوردية عشائرية معارضة لـ Pkk وقدرت المصادر بأن Pkk كان يمتلك نحـو ١٥,٠٠٠ مقاتل و ميليشيات يقدر عددها بنحـو ٧٥,٠٠٠ شـخص، وقـدر عـدو حـراس القـرى بحـوالي ٦٠,٠٠٠ حـارس وقـدر آخـرون عـدوهـم بحـوالي ٨٠,٠٠٠ في التسعينيات، كانت الحكومة تدفع رواتب مـجزية إلى هؤلاء لمقاتلة Pkk إلى جانب القوات الحكوميـة ويقدر عدد من لقي حتفه خـلال ١٥ سنة من المواجـهـات المسلحـة بنجـو ٣٥,٠٠٠ شـخص ولايمثل هذا العـدد الضـرر الذي أصاب الدولة التركية، ترك الأهالي قراهم عندما وجدوا الأوضاع تتدهور، بحلول ١٩٩٧ أخليت حوالي ٣,٤٠٠ قرية بالقوة وتوجه سكانُها إلى مدن كوردية وإلى أخرى في الغرب وهاجر عدد آخر إلى الخارج.

تيار حزب الله الجارف

- حزب الله اسم استخدمه راديكاليون آخرون في الشرق الأوسط ظهر إلى واجهة الأحداث في جنوب شرق تركيا كحركة مناوئة للإرهاب وللتقليل من نفوذ Pkk بدأ حـزب الله يقـتل قـادة كـورد بـارزين بـاسم الاسـلام الثـوري مما أعطى إنطبـاعـاً أن الحـزب تسـيطر عليه الدولة. ومنذ ١٩٨٠ بدأت الحكومـة بتـوزيع منشورت تدعو إلى الوحدة الاجتماعية وتضمنت المنشورات آيات قرآنية تدعو إلى نبـذ الانقسـام العرقي، يقـول وينرو Winrow أسـتـاذ العلوم السـياسـيـة في اسطنبـول أنه بين ١٩٩٠ و ١٩٩٥ اغـتـيل نحـو ١,٣٠٠ شـخص بشكل غـامض تورط فيـها حزب الله والحكومة و pkk وحـراس القرى وكل طرف يـتـهم الطرف الاخر، في ١٩٩٧ ظهر كتيب في شوارع باتمان يدعـو إلى مقـاومـة pkk باسم الاسـلام، يقول كـيفن مـاك كـيرنـان أن باتمان هي مـركز نشـاط حـزب الله وأن الجيش التركي قام بتسليمه للجهاد ضد pkk.

- كما يقول حميد يوزر أسلان الباحث التركي من أصل كوردي أن حزب الله كان مسـؤولاً عن مئات من حالات اغتيال مثقفين، بما في ذلك مثقفين اسـلاميين قبل قيام الحكومة بسحق الحزب في ٢٠٠٠.

– وفي فترة انتقال الولايات المتحدة بالحرب في العراق كان حزب الله متورطاً في تفجيير القنصلية البريطانية ومصرف بريطاني و اكبر كنيس يهودي في اسطنبول. كما تورط الحزب في تنظيم قوي للمافيا وتلطخت أيديه بتجارة المخدرات والدعارة وانواع اخرى من الجريمة المنظمة، وظن البعض أن الدولة خلقت صادراً لم تعد تستطيع السيطرة عليه.

تحولات في ستراتيجية اوجلان والقبض عليه

– مع مرور الوقت بذل أوجلان مجهوداً لاحتضان الثقافة الكوردية التقليدية، بدأ يخفف من لهجته ضد الدين وحول الانفصال وحاول ايجاد سبل لانهاء الصراع الدموي، تعاون كورد العراق مع الحكومة التركية لاخراج pkk من شمال العراق وبدأت سوريا الحليف القوي Pkk بتقليل دعمها له، إقترح إوجلان خطه من سبع نقاط تدعو إلى انهاء العمليات العسكرية التركية وحراس القرى وعودة المهجرين الكورد إلى قراهم وحرية التعبير والثقافة، هرب إوجلان إلى سوريا عام ١٩٧٩ وأشرف على عمليات Pkk من هناك إلى أن قامت سوريا تحت ضغط تركي بطرده في ١٩٩٨، يبحث إوجلان عن اللجوء في عدد من البلدان ولكن رفض معظمها تليية طلبه، القي القبض عليه في غينيا ١٩٩٩ بعملية مشتركة بين (سي أي أيه) واليونانيين واسرائيل والامن التركي، اليوم يقضي إوجلان حكماً بالسجن المؤبد في قلعة في جزيرة في بحر مرمرة.

أما في اوروبا فان Pkk متهم بعمليات ابتزاز واختطاف وتجارة المخدرات والارهاب والاخلال بالحياة الاوروبية عن طريق تنظيم المسيرات والحجمات على أهداف تركية، وفي تركيا تخرج مظاهرات بين حين واخر تأييداً لاوجلان في وقت يتهمه اخرون ببيع القضية الكوردية بعد تنديده بالعنف وطلبه من انصاره وضع السلاح ودعم الحكومة

التطورات الجديدة

– من الناحية الأمنية هنالك امل في تحسن الوضع الأمني ولو أن وقف إطلاق

النار بين Pkkوالحكومة قد أنتهى، معظم الناس في تركيا لديهم مخاوف من ارتفاع نسبة البطالة وتكاليف المعيشة، حدثت مصادمات عنيفة بين المقاتلين وقوات الأمن في الآونة الاخيرة مما دفع بالبعض إلى الاعتقاد بأن جولة جديدة من العنف والارهاب ستبدأ.

ثورات العراق منذ معاهدة سيفرز

- قد تكون المرة الاولى في تأريخهم يراهن الكورد على الحصان الرابح هذا ماقاله كريم يلدز المدير التنفيذية لمنطقة حقوق الانسان الكوردية.

- إن المنطقة التي هي ضمن الدولة العراقية كانت جزءً من الامبراطورية العثمانية لقرون عديدة، مشكلة الكورد اليوم تكمن في كونهم موزعين بين تركيا وايران والعراق وسوريا ويمكن ضمها في ظل التطورات التي حصلت في الماضي.

دور الانكليز في التطورات التي حصلت في العراق

إن المناطق الغنية بالنفط في المنطقة التي هي كوردستان العراق اليوم أصبحت هدفاً للمصالح البريطانية في العشرينات من القرن العشرين، الانكليز كانوا يعرفون بأن الكورد يريدون دولة مستقلة، ولاية الموصل الغنية بالنفط وذات الاغلبية الكوردية الحقت بولايتي بغدا والبصرة لتشكل معاً دولة جديدة سميت بدولة العراق وجعل الامير فيصل ملكاً عليها في ١٩٣٠ انهت المعاهدة البريطانية العراقية حكم الانتداب البريطاني دون أي ذكر للكورد في المعاهدة، وبعد ٧ سنوات وقعت ايران وتركيا والعراق ميثاق سعد أباد للقضاء على أية طموحات كوردية في الاستقلال، لم يحدث انكار للهوية الكوردية في العراق على نحو ماحصل في تركيا ولكنهم عانوا من قهر شديد، إن رغبة الحكومة العراقية في السيطرة على النفط واليورانيوم والثروات المعدنية الأخرى الموجودة هي سبب من أسباب قمع الحكومة للكورد.

دور مصطفى البارزاني

- لم ينل أحد قبول الكورد له كممثل لهم ولكن إذا وجه رمز عصري فان هذا الرمز هو مصطفى البارزاني، إن كفاحه بالنيابة عن شعبه حمله إلى مراكز القوى في واشنطن و موسكو وإلى النفي في ايران والاتحاد والسوفيتي، وكما هي الحال مع شعبه فان البارزاني عانى من الخيانة في سعيه لايجاد اصدقاء لشعبهُ في تركيا وايران وسوريا والبلدان الغربية، ساهم في صعود حكام إلى السلطة وعزل آخرين عندما حنثو ابو عودهم في منح الكورد مرتيهم.

- من بين الذين عارضوا ممارسات النظام الملكي الذي أسسه الانكليز كان عبد الكريم قاسم الذي أطاح بالنظام الملكي في ١٩٥٨ بتأييد من جميع القوى الديمقراطية المعارضة بما فيها البارزاني والكورد، بعد توطيد سلطته فرض قاسم حظراً على الحزب الشيوعي وكذلك على الحزب الديمقواطي الكوردستاني أحد أهم الاحزاب الكوردية ورفض الحكم الذاتي الذي سبق أن وعد الكورد به وازدادت الضغوطات لدمج الكورد في الثقافة العربية، وفي ايلول ١٩٦١ وبعد أن تعرضوا للقصف الجوي أطلق الكورد حركة تمرد لاقامة الديمقراطية في العراق، الحركة الكوردية كانت محدودة مرتبطة بالعراق ولم تحاول التأثير على كورد تركيا أو ايران ، وفي ١٩٦٣ أطاح البعثيون بحكم قاسم ولكن الحكم الجديد أثبت أنه أسوء بكثير عن سابقة وساد القمع الرهيب العراق. يقول مايكل غينتر أن الكورد كانوا الأكثرية في كركوك ولكن في ظل حكم البعث قتل مئات من الكورد وتعرضت كركوك إلى حملة تعريب، لقد اعتبر الكورد كركوك جزءاً من كوردستان و عادوا اليها في ١٩٧٤ بعد أن هربوا وهجروا منها في الستينات، وأثناء مخطط صدام للتعريب هرب منها الكورد من جديد ليعودو اليها ثانية ١٩٩١ ، أنها عملية لاتزال مستمرة إلى يومنا هذا.

- في ١٩٧٠وافقت الحكومة العراقية على منح الكورد حقوقاً لغوية وثقافية وهذا سبب رئيسي ساعد الكورد على الحفاظ على لغتهم اكثر من كورد تركيا وايران، في ١٩٧١ أدخلت اللغة الكوردية كلغة للتعليم الابتدائي في عدة مناطق ولكنها لم ترخص في المرحلة الثانوية إلا في حدود معينة.

- إن هذا القـــدر من الحكم الذاتي لم يدم طويلاً وفي ١٩٧٤ بدأ ترحـــيل العـوائل الكوردية من جـديد من كركـوك، وبين ١١ أذار و ١٥ منه التـحق نـحـو ١٠٠,٠٠٠ كـوردي بـ ١,٥ مليـون كـوردي الموجـودين في المنطقـة الحـرة من كـوردسـتـان و وصل عـدد الاجـئـيين في ايران في طريق ١٩٧٤ إلى ١٤٥,٠٠٠ لاجيء.

خيانة الولايات المتحدة للبارزاني

- إننا لانثق بالشاه. اني اثق بامريكا، أمريكا قوة عظمى هذه كلمات قالها البارزاني.

- في السنوات الاولى من السبـعينات طلب شـاه ايران وبمسـاعدة هنري كيسنجر من " سي أي أيه" تزويد الكورد ببعض الأسلحة كي يستطيعوا مقاومة القوات العراقية في كوردستان.

- لم يدرك البـارزاني في وقـتـه أن مسـاعدة الولايات المتـحدة له هي من اجل إشغال الحكومة العراقية وإضعافها وليس من أجل انتصار كوردي حاسم وحتى تكون إيران طليقة في مواجهة النفوذ السوفيتي في المنطقة، تخلى الشاه عن الكورد عندما قدم العراق تنازلات في الحدود للايرانيين، مقابل وقف الدعم إلى الكورد، بدون المعـدات تكون السنوات الكوردية عـاجزه عن مـواجـهـة القـوات العـراقيـة لقد تم إزالة ٥٠٠ قرية في البداية وبحلول ١٩٧٨ ووصل عدد القرى المدمرة إلى ١٤٠٠ قرية وتم توطين ٦٠٠,٠٠٠ كـوردي في مجـمـعـات مـسكنيـة بعيدة عن المنطقة الجبلية الوعرة، وقـدم البعـثيـون الحـوافز الماليه للعرب الذين تيزوجون كورديات كوسيلة أخرى للتمثيل، على الرغم من هذه التطورات القاتمة كان هنالك بعض التقدم الاقتصادي واقامة مدارس ومستشفيات وجامعات في كوردستان.

- القوات الكوردية طلبوا اللجوء إلى ايران أو سلموا أنفسـهم إلى السلطات العراقية أو لاذوا بأصدقائهم الجبال استمرت الحكومة في حملة التعريب ويحول ١٩٧٦ ثم ترحيل ٢٠٠,٠٠٠ كوردي من قراهم إلى الجنوب في مجموعات من ٣

إلى ٤ عـوائل فـي كل مـوقع، كـمـا تم نقل حـوالي ٤٠,٠٠٠ أخـر إلى مناطق كوردية، كانت هذه المرة الاولى التي علم الكورد فيها بخيانة الولايات المتحدة لهم ولكنها ليست المرة الأخيرة.

الحرب العراقية الايرانية

- في ١٩٧٩ أوقعت احداث ثلاثة كانت لها تأثيراتها على الوضع العالمي، في هذه السنة قام الاتحاد السوفيتي بغزو افغانستان، التحق الاف الشبان المسلمين بالحرب ضد السوفييت بما فيهم أسامة بن لادن وتعلموا كيفية خوض الجهاد ضد القوى العظمى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي توجه بن لادن لمحاربة القوى العظمى الاخرى الولايات المتحدة.

- وفي ١٩٧٩ أطاح روح الله خميني بنظام الشاه محمد رضا الذي تسانده الولايات المتحدة وبدأ ثورة اسلامية شيعية أدخلت الرعب في قلوب الدول الاسلامية السنية المعتدلة وكذلك العالم الغربي، بعد ٤٠٠يوم تم الافراج عن ٥٣ دبلوماسياً امريكياً كانوا قد احتجزوا كرهائن من قبل الحرس الثوري الايراني، كما أن عام ١٩٧٩ شهد تولي صدام تقاليد الرئاسة بشكل شام وفي غضون سنه من تسنمه السلطه تبين هجومه على ايران. كان صدام السني يخشى قيام ايران لتحريض الشيعة الذين يشكلون ٦٠٪ من سكان العراق. استمرت الحرب من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨.

جعلت الحرب المسألة الكوردية اكثر تعقيداً. أصيب كثيرون من الكورد بالاحباط عندما بدأ الكورد في العراق يقاتلون بني جلدتهم كورد ايران، لحساب حكومة اضطهدتهم لمدة طويلة، ومما زاد الموقف تعقيداً أن كورد العراق بدأوا يقاتلون إلى جانب الايرانين ضد حكومة بغداد.

- كما كان هنالك كورداً إيرانيين يقاتلون إلى جانب القوات العراقية بعد أن شعروا أن طهران نكثت بوعودها في منحهم حكماً ذاتياً. ساعد البارزاني إيران على احتلال مواقع ستراتيجية داخل العراق وانتقاماً منهم قامت قوات صدام بجمع نحو ٨٠٠٠ بارزاني من مجمعات سكنية واعدمتهم.

الولايات المتحدة تساند العراق - حملة الانفال

- في ١٩٨٣ أكد مبعوث أمريكي لصدام أن هزيمة العراق لا تصب في مصلحة الولايات المتحدة وعد صدام بمساعدة امريكا له وعندما استيقن صدام أن المجتمع الدولي لايريد هزيمته في الحرب مع ايران انطلق في حملة الانفال، وبما أن القرآن سيمنح المسلمين حق نهب أعدائهم من غير المسلمين منهم فقد استخدم صدام الانفال لتبرير ابادته للكورد رغم كونهم مسلمين، بحلول ١٩٨٥ ازال صدام ٢٠٠ قرية وعّين ابن عمه علي حسن المجيد حاكماً على شمال العراق وهو معروف باسم علي الكيماوي لاستخدامه الغازات السامة.

وقام علي حسن المجيد بازالة ٥٠٠ قرية اخرى واعدم الالوف واتبع سياسة الأرض المحروقة لتدمير الزراعة والبنية التحتية.

- أوردت منظمة حقوق الانسان في ١٩٩٥ أن صدام أطلق سبع حملات للانفال بما فيها حملة حلبجة السيئة الصيت حيث قتل نحو ٥٠٠٠ كوردي في هجوم بالغازات على المدينة، وعند نهاية الحرب في ١٩٨٨ تدمير ٤٠٠٠ قرية وجرى توطين ١,٥ مليون كوردي وهربت مئات الالوف إلى تركيا وايران وقدّر عدد من قتل بنحو ١٨٠,٠٠٠ كوردي.

- إن الخوف من انتصار ايراني دفع بمعظم الدول الغربية إلى عدم التنديد بحملات الابادة ضد الكورد، كما ان عدة الدول لم ترغب خسارة عقود تجارية أبرمتها مع العراق لإعمار ما دمرته الحرب ومع اعتباره شريراً من قبل الغرب فانه كان بعتبر أفضل من الايرانين، وبدأت الولايات المتحدة تبيع العراق معدات عسكرية في غاية الحساسية.

حرب الخليج الاولى ونتائجها

- في ٢ أب ١٩٩٠ أرسل صدام قواته إلى الكويت وبرّر فعله على أن الكويت كانت تقليدياً وتأريخياً جزءً من العراق إلى أن صنعت بريطانيا كيانات في المنطقة بعد الحرب الاولى، بالاضافة إلى ذلك اعتقد صدام بأن الكويت لم تدفع

حصتها من تكاليف الحرب مع ايران- الحرب التي شعر أنه شنّها بالنيابة عن الدول العربية السنية في المنطقة وفي غضون الاشهر الستة اللاحقة حشد الرئيس الأمريكي تحالفاً حاول أن يضم إليه تأييداً اسلاحياً لإخراج العراقيين من الكويت الغنية بالنفط ، لم يشأ الرئيس بوش أن يعطى وعداً صريحاً ومباشراً بدعم الكورد اوالشيعة ولكنه خلق لديهم انطباعاً بأنهم سيحصلون على المساعدة للإطاحة بصدام بعد هزيمته في الكويت هُزم الجيش العراقي بسرعة وخرج من الكويت في حالة فوضى واستغل الكورد والشيعة هذه الهزيمة للإنتفاضة ضده.

- وفي اذار ١٩٩١ سقطت مدينة رانيا الكوردية الصغيرة ولكنها المهمة بأيدي الثوار الكورد وانتشرت الانتفاضة بسرعة هائلة في الشمال والجنوب، في كوردستان كانت الانتفاضة طوعية وغير مدبرة أو منسقة حيث تجمعت الجماهير لتدمير صور صدام وزحفوا على البنايات الحكومية وأبنية الأمن والثكنات العسكرية ومقرات حزب البعث، وعندما كان حماس الجماهير يشتد وظنوا أن عدوهم اللدود على حافة الانهيار إذ بحوالي ١٠٠,٠٠٠ جندي من القوات العراقية تأتي من الكويت لمواجهة الكورد، وبحلول الثلاثين من آذار بدأ الكورد بالفرار إلى الجبال نجاةً بأنفسهم من الإبادة التي يعرفون انها آتية اليهم، بدأ ١,٨ مليون كوردي بحثهم عن الملجأ إما في ايران أو تركيا، وبمعدل ألفا حالة وفاة كل يوم بسبب البرد والجوع قام الرئيس التركي اوزال والأمريكي بوش ورئيس وزراء بريطانيا جون ميجر بعمل ماكان يعرف بالملاذ الامن وعملية توفير الراحة.

- ومع أن الالوف ماتوا قبل وصول العون اليهم فان تدخل الحلفاء جعل من بوش بطلاً عند الكورد وبدأ الآباء تسمية أولادهم باسم بوش، أقيم الملاذ الآمن شمال خط العرض ٣٦ وفرض حظر للطيران فوق المنطقة ومنع صدام من إرسال قوات إلى تلك منطقة.

- ولغرض استمرار تدفق المساعدات الانسانية تم الاتفاق مع تركيا لضمان مرور هذه المساعدات من أراضيها كي تصل كوردستان العراق. كما سمحت

تركيا اللولايات المتحدة القيام بطلعات جوية فوق المنطقة انطلاقاً من قاعدة انجرليك ولكن مقابل ذلك يجب اعطاء معلومات عن Pkk إلى السلطات التركية .

الفصائل الداخلية بين الكورد

- بدون أي شك الكورد ضحايا العدوان الخارجي والقمع والخيانة ومع ذلك فانهم في كثير من الأوقات تصرّفوا بطريقة ساهمت بشكل مأساوي في موتهم وخاصة في القتال الداخلي بين الفعاليات المختلفة الحزبان الكورديان الرئيسان - الديمقراطي الكوردستاني و الاتحاد الوطني قاتل الواحد الآخر بشكل مستمر في نزاع له جذور عشائرية، استغل صدام وحكام ايران وتركيا هذه الخلافات لتوسيع هوّة الخلاف بين الكورد ومنعهم من التحدث بصوت واحد إلى العالم. هبطت معنويات الكورد عند اندلاع القتال بين الحزبين في ١٩٩٤. قبل الحرب الداخلية كان الكورد متحدين ومتفائلين، حول مستقبلهم، وبعد إندلاع المعارك كان كل كوردي يحاول الخروج بأية وسيلة، ولحسن الحظ فانه منذ ١٩٩٧ لم يحدث قتال بين الحزبين وهما يتحدثان بصوت واحد إلى الحكومة العراقية الجديدة.

- في الثالث من أيلول ١٩٩٦ أنسحب المركز التنسيقي العسكري والذي هو عبارة عن قاعدة عسكرية صغيرة لممثلي التحالف، الأمر الذي خلق حالة من الرعب بين صفوف السكان في المنطقة، اعتقد العاملون في المنظمات اللاحكومية أن صدام سيكون قادراً على العودة فطلبوا من دائرة مساعدة الكوارث الخارجية (OFDA) تقديم العون لهم.

القانون العراقي ينص على أن اي مواطن يتعاون مع قوة أجنبية يعتبر عدواً للعراق وخائناً يواجه عقوبة الاعدام، تم اعداد قوائم باسماء ١١,٠٠٠ كوردي ممن يعملون مع المنظمات وجرى اجلاءهم إلى جزيرة كوام في المحيط الهادي ويبقى الوف أخرون يواجهون انتقام صدام منهم، وعلى عكس ما هو متوقع لم يتحرك صدام إلى شمال العراق واستمرت الولايات المتحدة في طلعاتها الجوية فوق المنطقة، حدث شيء مؤسف عندما دخل صدام مدينة أربيل بطلب من KDP

للقضاء على مقاومة PUK، اهاب PUK بايران لمواجهة قوات حكومة بغداد.

وفي نفس السنة دخل قرار الامم المتحدة حيّز التنفيذ الأمر الذي مكّن العراق من بيع نفطه مقابل الغذاء ومواد ضرورية اخرى وخصص ١٣٪ من المبلغ لمنطقة كوردستان العراق، رافقت برنامج النفط مقابل الغذاء عمليات فساد ولم ينتفع منه كثيراً بقية اجزاء العراق ولكنه ساهم بشكل كبير في ازدهار المنطقة الكوردية واستمرت الحال هذه إلى حين الاستعداد لحرب الخليج الثانية.

تطورات في شمال العراق

- في ٢٠٠٢ أرادت تركيا إرسال ١٠,٠٠٠ جندي إلى شمال العراق و كان هذا إجراءً عارضهُ الكورد بشدة، ساندت الولايات المتحدة الكورد، وفي تموز القت القوات الأمريكين القبض على عدد من قوات الكوماندوز التركية في السليمانية، وكانت هذه القوات قد أرسلت لزعزعة استقرار منطقة الحكومة الكوردية الاقليمية، أدى الحادث هذا تدهور العلاقات بين تركيا و الولايات المتحدة.

- بحلول ٢٠٠٥ استطاعت الحكومة الكوردية المحلية اعادة تعمير الكثير مما دمره صدام حيث أعادت بناء نحو ٢٠٠٠ قرية من مجموعة ٤٠٠٠ قرية كانت قد دمرها صدام. في دهوك كان هنالك مدرسة ثانوية واحدة في ١٩٩٢ ولكن العدد ارتفع إلى ١٢ في ٢٠٠٢ مع اقامة جامعة ومعهد تقني ومعهد للفنون الجميلة، وبين ٢٠٠٢ وزيارتي الأخيرة في حزيران ٢٠٠٥ تم بناء مئات الواحدات السكنية بما فيها بيوت الأرامل.

- وعند شروق الشمس في ٣٠ كانون الاول تم اعدام صدام شنقاً لجرائمه ضد الشعب. في الحقيقة أعدم لجزء قليل من جرائمه ولم يشنق لإستعماله الغازات الكيمياوية وحملات الابادة ضد الكورد، لاشك أن الكورد ابتهجوا لموته ولكنهم أصيبوا بالخيبة لأنه لم يحاسب على كل ماسببه لهم من معاناة ومآسي.

الفصل الثالث

اللغة والهوية القومية

- الكورد يشيرون إلى كل شيء لغة أو زياً أو نسباً أو رقصاً من رقصات حفلات الزواج على أنه علامة لهويتهم التي تميزهم عن غيرهم، عبر سنوات طوال بذل الكورد جهدهم للحفاظ على هويتهم وذلك بمقاومة محاولات صهرهم، وعليه فانه ليس بالأمر المستغرب أن تكون المعرفة الكوردية الأصيلة والمعبرة بشكل صريح أو ضمني تدور حول مقاومة الكورد لجيرانهم الاقوياء.

كانت القصائد الكوردية المغناة تدور حول المقاومة، كما أن القصص الكوردية كثيراً ما كانت تحمل في طياتها نغمات سياسية، وبما أن اللغة جزء مهم من الهوية القومية فان كل كلمة مسموعة في الكوردية هي شكل من أشكال المقاومة، يقول كوردي يقيم في الغرب! حتى تكون كوردستان يجب أن يكون لديك اللغة الكوردية التي تتحدث بها، وبما أن أباءنا كورد وجئنا إلى الدنيا ونحن كورد فاننا فخورون أن نكون كورداً نعيش في كوردستان التي نعتبرها جنة الله في الأرض، علينا أن نحافظ عليها وندافع عنها.

ويقول كوردي آخر يعيش في اسطنبول: الناس يخافون أن يتكلموا بالكوردية في البيت إنهم يرتبكون ويخافون أن يجدهم الناس غير مدنيين وجهلة إذا ماتحدثوا بالكوردية، هذه الاقوال تمثل رأيين مختلفين حول اللغة التي هي لب الهوية الكوردية، في كل من كوردستان تركيا والعراق حصلت تطورات فيما يخص اللغة والتي تحتاج إلى بعض التوضيح.

تطور اللغة الكوردية في كوردستان العراق

- من سخرية الاقدار أن تحصل في العراق أكبر التطورات على اللغة الكوردية وأن يكون الشعور بالهوية الكوردية هو الاقوى وأن الكورد فيه كانوا ضحايا أبشع قمع وانهم تمتعوا بحرية ثقافية لم يتوفر مثلها لأقرانهم في تركيا وايران وسوريا، ومع ان التعليم الكوردي الرسمي كان محدوداً في ظل حكم البعث في الفترة ما بين ١٩٧٠ والتسعينات فانه على الاقل كان موجوداً وكان الكورد يصرفون جل اعمالهم بلغتهم على عكس ما كان يحدث في تركيا وايران وسوريا، ليس الغرض من هذه المقدمة التقليل من شأن نضال الكورد القاسي للحفاظ على لغتهم وثقافتهم. كان الكورد يوصفون على انهم قوم غير متمدنين وهي وصمة طالما الصقت باقوام أخرى مثل هنود شمال امريكا، كانت الحضارة العربية توصف على أنها الأرقى ويستوجب على الاخرين الانصهار فيها، لهذا نقل الكورد إلى مناطق عربية للإندماج في الثقافة العربية، ولكن يبقى أن نقول أن الكوردية على الأقل كانت تعلم كلغة ثانية إلى الطلاب الكورد وكانت هنالك حركة ادبية وبخاصة من قبل المتحدثين باللهجة السورانية.

- ومنذ ١٩٩١ أصبحت للكورد حرية اكبر في استعمال لغتهم حيث اصبحت لديهم لغة التعليم والاعمال وهي تصبح بشكل سريع لغة الكتابة والقراءة وهذا شيء لم يكن يحدث قبل ١٩٩١، وفي الحقيقة أن الكوردية حلّت العربية كلغة للتعليم إلى درجة يشعر بعض الكورد أن الجيل الجديد يجد صعوبة في العيش في العراق بسبب قلة معرفتهم بالعربية، ويرى آخرون أنهم يأملون في أن تصبح اللغة الانكليزية اللغة المشتركة بين المجموعات المختلفه وتكون الكوردية اللغة العامة بين الكورد مثلما هي العربية بين العرب.

- عندما زرت شمال العراق لاول مرة في ١٩٩١ كان الكورد قد بدأوا لتوهم العودة إلى منازلهم بعد حرب الخليج الاولى وكانوا يذوقون طعم الحرية لأول مرة بما في ذلك حرية التعبير، كانت المراسلات الرسمية تجري بالعربية لغة مضطهدي الكورد.

- مهما كانت الأمور فان استعمال اللغة الكوردية قد حقق تقدماً كبيراً منذ

١٩٩١، تدرس الكوردية اليوم على أنها لغة التعليم في كل المدارس باستثناء عدد قليل خصص للمتكلمين باللغة العربية الذين ينتقلون إلى كوردستان لظروف أمنية، لايزال هنالك نقص في الكتب وخاصة المكتوبة باللهجة البهدينانية ولكن اعداداً اكبر تطبع الان، الكورد يكنون كل الاحترام والتقدير للكتاب والمعرفة ويبجلون الشعراء والمؤرخين وآخرين ذوي المهارات الادبية، ومع تحسن الأوضاع الامنية فان التعبير الادبي سيستمر في التطور والتوسع.

التطورات في تركيا

- على عكس كوردستان العراق حيث اللغة الكوردية تستعمل على نطاق واسع في المحادثة فان كثيرين من كورد تركيا يعرفون القليل عن لغتهم، ولو أن التحدث بالكوردية خارج البيت لم يعد محظوراً كما كان في السابق وقبل ادارة اوزال فان الناس كانوا يخشون أن التحدث بها قد يوقعهم في مشاكل.

- لاحظت باستمرار بأن مستخدمي الفندق أوالمطعم كانوا متشوقين للتحدث معي بالكوردية ولكنهم ينتقلون رأساً إلى التركية عندما كان يقترب منا مسؤول الفندق أو المطعم.

- في دياربكر العاصمة الأقليمية للمنطقة الكوردية في تركيا يسمع الوافد فيها القليل من الكوردية باستثناء عدد قليل من الفلاحين الذين انتقلوا اليها حديثاً، على الرجال تعلم التركية بسرعة كي يستطيعوا إيجاد عمل وتبقى النسوة المتحدثات الرئيسيات باللغة الكوردية، في أواخر الثمانينيات سألت صديقاً كوردياً في دياربكر إن كان أبناؤه يعرفون الكوردية وعندما سُئل الأبناء قالوا أنهم يعرفون شيئاً قليلاً منها ومعرفتهم بها سطحية.

- ومع أن الكورد يستشهدون بعناصر كثيرة للثقافة في تعريفهم كون الشخص كوردياً متميزاً عن جيرانه فان اللغة هي الصفة المميزة لهم عن غيرهم، دأب الأتراك على وصف الكوردية على انها مزيج من التركية والعربية والفارسية.

ولكن بسبب عزلتهم بين الجبال تطورت لديهم ما يعرف اليوم باللغة الكوردية،

ويأتي بعد انكار وجود لغة كوردية متميزة إنكار الهوية الكوردية، الكورد هم عرب رحل أو ترك أوجدوا لأنفسهم هوية جديدة بسبب انعزاليتهم في الجبال.

صوت اللغه

- يقول كوردي تركي أن عائلته أجبرت على السكن في منطقة غير كوردية في تركيا بسبب إحدى الانتفاضات الكوردية و انهم درسوا في مدارس تركية واندمجوا في الثقافة التركية بشكل تدريجي، إنه يظن بأنه كوردي ولكنه لايتكلم الكوردية ولايشعر أنه كوردي.

- عندما تكون هيمنة لغة الاكثرية على درجة من الشمولية بحيث يصبح من العسير استخدام لغة الأم وعندما يشعر الجيل الشاب بعدم الحاجة إلى اللغة القديمة عندئذ يحدث موت اللغة.

- اثناء عملي الميداني التقيت بأناس كثيرين انتقلوا إلى اسطنبول أو إلى أضنة ولم يبذلوا إي جهد للأبقاء على اللغة الكوردية حية بينهم فان اولادهم لايتكلمون الكوردية.

في بعض الحالات يتكلم الآباء والامهات بالكوردية ولكن لأن لغة التعليم تركية والمجتمع تركي فانه في غالب الاحيان ينشأ الاطفال وهم يتحدثون الكوردية وفي حالات اخرى يكون التمثيل والصهر شاملاً وحيث لا تتوفر لدى الكورد فرص التحدث بلغتهم فانهم لايستطيعون التفوه بابسط الكلمات الكوردية، الأمر مقلق لدى البعض لأنه يهدد الهوية القومية وبالنسبة إلى آخرين أنها مسألة ليست ذات أهمية، أخبرني أحد ألاباء الذين تركوا المنطقة الكوردية في السبعينيات بأنه لم يعلم أطفاله الكوردية فحسب بل وأنه يعتقد بأن تعليمهم الكوردية يساهم في إضعاف هوية البلاد القومية ووحدتها، ويقول أن إيقاظ الوعي القومي الكوردي ما هو إلا مؤامرة أرمنية لتقسيم تركيا وهو بذلك يؤيد رأي الترك القوميين المتعصبين.

- في القرى يُتحدث بالكوردية على نطاق واسع ولو أن الذين يذهبون إلى المدارس يتكلمون مزيجاً من الكوردية والتركية.

في قرية على مقربة من ادیامان يفتخر الآباء الأمهات أن اولادهم يتحدثون بلغتين في القرى الكوردية وأنه من المحتمل أن الاطفال سيتحدثون بها رغم تثقيفهم التركي، أما في المدن فان كثيرين من الأطفال لايجدون نفعاً من تعلم الكوردية وهم يستطيعون فهم بعض الكلمات والجمل ولكن لايستطيعون التحدث بها، مصير الكوردية مرتبط باستعمالها في البيت ويعتمد على رغبة كل جيل في الحفاظ عليها كعنصر مهم للهوية.

- في منطقة كوردية في تركيا رافقت عدداً من طلابي إلى قرية صغيرة و وجود أجانب يجذب انتباه اهل القرية، حاولت التحدث إلى بعض الاطفال بالكوردية ولكنهم ترددوا في الاجابة، وعندما غيرت الكلام إلى التركية تحمس الأطفال للحديث، قال احد الأدباء إنه أمر كارثي عندما يتردد الاطفال في التحدث بلغتهم. إن التحدث بها احياناً يشعر الشخص بالمهانة والخجل.

- إن التفكير السائد في أن اللغة الكوردية هي لغة السذج من الناس وغير المثقفين وانها لغة القروين غير المتمدنين بينما التركية هي لغة المثقفين وأهل المدن المتحضرين أمر يصعب تغييره، وحتى في مدينة الكورد يشكلون فيها الأغلبية سمعت بعض الصبية يخاطب الواحد الاخر ويصفه بالكوردي القذر"Piskurt" إن الكورد الذين تم صهرهم والذين كانوا يعيشون في شقق سكنية مجاورة لنا لم يكونوا يرغبون بالتحدث بالكوردية إلى الشغالات والعمال المستأجرين الذين لم يكونوا يجيدون التكلم بالتركية.

- التقيت بإمرأة من مدينة كوردية وكان خطيبها مصرياً وسألتها إن كانت هي كوردية؟ ثارت ثائرتها كما لو انني رميتها بتهمة الجهالة، تعجب زوجها لطرحي هذا السؤال عليها ولو أن مدينتها كوردية، قالت في الاخير بأن لها اقرباء قد يكونوا كورداً والتفتت إلى خطيبها تقول حازمة أن عليه أن يكون حذراً معنا لأنها كوردية متوحشة، أحياناً يشار إلى شرق تركيا بالشرق المتوحش Vahsi Dagu إن النساء الكورديات تتحدث الواحدة إلى الاخرى حتى في حي باخجلرالكوردي في اسطنبول بالتركية، والسبب هو الخجل من التحدث بالكردية.

التمييز والهوية

يصعب تمييز التركي عن الكوردي جسمياً وعليه لايعاني الكورد من التمييز العنصري المبني على المظهر البدني، وجسمياً يصنف الناس على أساس اللون الأسمر والاسود الخفيف Kumred والشعر الاشقر، ولندرة اللون الأشقر فانه مرغوب والنساء يصبغن شعورهن بهذا اللون والاغاني التركية مليئة بالاشعار عن الشقروات وصور الشقراوات التركيات والغربيات منشورة في كل مكان، وينظر إلى الاسمر على أنه أقل سحراً وجمالاً وذووا اللون الاسمر يوصفون بأنهم عرب أو زنوج افريقيون واللون الأسمر منتشر بين الكورد اكثر منه عند الترك، وعليه فان أساس التمييز العنصري في تركيا مختلف عن التمييز العنصري الذي قد يجده الواحد في الغرب، عندما يتحدث الكورد عن تمييز علني فانهم عادة يشيرون إلى تمييز جغرافي وليس تمييز مبني على المظهر، عندما يتقدم طلاب العمل إلى صاحب العمل فانهم يسألون عن منطقتهم الجغرافية، وعندما يعلمون أن المتقدم للوظيفة هو من منطقة كوردية فان صاحب العمل قد يقول له بأن الوظيفة قد شغلت أو أنه يقدم له وظيفة ذات أجر اقل ، وبما أن مكان الولادة سجل على الهوية الشخصية فالمتقدم للوظيفة لايستطيع إنكار مكان الولادة.

كيف يكون الكورد تركاً؟

إن تعريف المكونات التي تعبر عن الذات الكوردية أمر ينطوي على التحدي، توركوت أوزال الذي أيد استخدام اللغة الكوردية بشكل محدود شعر بأن أفضل حل للمسألة الكوردية هو تمثيلهم في الحياة والثقافة التركية حتى ينعموا بالرفاهية التي ستشمل الجميع وخاصة أن الدولة تتقدم اقتصادياً وتكنولوجياً. اختار الكثيرون من الكورد الهوية المزدوجة فهم يعتبرون انفسهم تركاً عندما يتعلق الأمر بالهوية الجغرافية العامة او الهوية الوطنية العامة ويعتبرون أنفسهم كورداً عندما يرغبون في التركيز على الهوية القومية.

أحد الامثلة على الهوية المزدوجة هو الكاتب التركي المشهور يشار كمال الذي

قال عن نفسه أنه أشد الاتراك كوردية واكثر الاكراد تركية، إنه أمر مألوف أن يتحدث الكورد عن شعب تركيا عندما يتعلق الأمر بالشعب التركي بشكل عام ولا يتطرق إلى الموضوع الكوردي بشكل محدد.

- إن مايصنع هوية المرء هو خليط معقد من الأصل والتأريخ واللغة وعناصر أخرى، أحد من تحدثت اليه نشأ في منطقة كوردية ولكن بعد الاقامة في سطنبول لمدة ٣٥ سنة لم يعد يتكلم الكوردية ولا يشعر بها، كما التقيت برجل كوردي اخر تربى وكبر في اسطنبول ولكن عندما أصبح في الثلاثينيات من عمره اكتشف هويته الكوردية فأصبح واحداً من اكبر المتحمسين القوميين رغم معرفته القليلة بالكوردية.

التقيت بعدد من الاكراد الذين يعتزون بكورديتهم بحيث أنهم يتحدثون باستمرار عن المسائل الكوردية وأبطال الكورد وحقوقهم وما إلى ذلك من مواضيع، والتقيت إيضاً بأخرين قالوا بأنهم كورد ولكنهم يحبون تركيا ويفتخرون انهم من مواطني تركيا ويأسفون عندما يرون أن المسألة الكوردية تستخدم لعرقلة إنضمام تركيا إلى الاتحاد الاوروبي. لقد سمعت أكراداً قوميين يندون بمثل هؤلاء الذين ينكرون كورديتهم لحساب تركيا أو انهم لايعيرونها الاهتمام المطلوب ولايقدرونها حق قدرها انهم يصفونهم بناكري أصلهم، وفي الطرف الآخر لهذه المعادلة هنالك الكورد الذين يجدون في اليقظة الكوردية خيانة شريرة تهدف إلى تقسيم تركيا بتحريض خارجي.

- بدون شك لقد خطت تركيا خطوات كبيرة سواءً أكانت هذه الخطوات ايجابية أو سلبية نحو تمثيل الكورد في الحياة التركية العامة.

في آخر زيارة لي إلى تركيا تملكني العجب عندما وجدت كورداً باعداد غفيرة يملكون مطاعم وفنادق وأصبحوا تجاراً في اكبر سوق مسقفة في العالم، تستطيع تركيا الاشارة إلى كورد كثيرين نجحوا و ازدهروا من ابتداءٍ عصمت الينونو خليفة اتاتورك إلى نواب في البرلمان ورجال اعمال وكتاب وأطباء واخرين في قطاعات مختلفة في المجتمع التركي.

– معظم الاتراك يستشيطون غضباً عندما تقارن معاملة الكورد في تركيا بمعاملة الأفارقة الامريكيين أو بمعاملة البيض للسود في جنوب افريقيا عندما كانت مستعمرة انكليزية، إنهم يقولون أن المسألة هي سياسية وليست عرقية والكورد ليسوا مواطنين من الدرجة الثانية كثيرون يتفقون مع هذا الرأي ولايتعاطفون مع أولئك الذين يظهرون الكورد كونهم ضحايا، التقيت بكورد معدمين عند قدومهم إلى اسطنبول وهم اليوم اشخاص ناجحون تقدموا في الحياة بجهدهم الشخصي.

ولكن القوميين الكورد يقولون أنهم حققوا النجاح لأنهم انكروا هويتهم القومية وهم يشيرون إلى ليلى زانا التي حكم عليها بالسجن لمدة ١٥ سنة لانها شدت على رأسها عصابة تحمل الوان العلم الكوردي وهتفت بالاخوة التركية الكوردية عندما رَددت القسم البرلماني، إن اعلانها للأخوة التركية الكوردية وهي تحمل معها الوان العلم الكوردي أُعتبر امراً خاطئاً.

– أمضيت ساعات مع كوردي قومي يرى الواقع من خلال مسألة اضطهاد شعبه، فهو يرى أن رجال الأعمال الترك لهم أفضلية الحصول على العقود الحكومية وأن رجال الاعمال الكورد توضع العراقيل أمامهم، والحكومة تدمر القرى لغرض تدمير اللغة والهوية الكوردية ويقول عن نفسه أنه اصبح ناجحاً دون أن ينكر أو يبيع كورديته ولكن كثيرين اخرين ممن حققوا النجاح انكروا هويتهم.

– وعندما كنت استقل القطار إلى مكان إقامتي بدأ رجل جالس على مقربة مني بتوبيخ الاوربيين والامريكيين لنفاقهم في ممارسة الضغط على تركيا لاجراء محاكمة جديدة لعبدالله اوجلان. في رأي هذا الرجل أن امريكا إستنزفت كل السبل والوسائل للقبض على اسامة بن لادن الذي تتهمه بقتل ٣٠٠٠ امريكي وعليه فلماذا يستحق اوجلان محاكمة جديدة في الوقت الذي تسبب في قتل اكثر من ٣٥,٠٠٠ شخصاً؟ ويقول الرجل أن حقوق الانسان الكوردي ما هي الا ذريعة يستخدمها الاوربيون لتغطية عدم رغبتهم في رؤية تركيا عضوة في الاتحاد الاوروبي، كيف يمكن تصور وجهتي النظر هاتين و هما على طرفي

النقيض في تمثيل موقف المجتمع؟ هل باستطاعة القوميين الكورد الذين يرون في الترك قوة محتلة لأرضهم ومستغلة لثرواتهم العيش بسلام مع اولئك الذين يرون في اليقظة القومية الكوردية مؤامرة غربية لتقسيم تركيا؟

أمل أن لاتنظر الأكثرية إلى الامور بمثل هذا التطرف ولكن هنالك استقطاب قوي بين كثيرين من الترك والكورد حيث يقول الكورد أنه من الممكن أن يصبحوا أصدقاء مخلصين للترك ولكن لايمكن أن تكون هنالك علاقة مع الترك المتعصبين الذين يزدادون عدداً يوماً بعد يوم.

– وحتى اصدقائي الترك غير المتعصبين يقولون أنه والى السبعينيات كان هنالك ميل أقل للهوية الكوردية وكان الواحد يقول أنه ماريديني او دياربكري اللتان هما منطقتان كورديتان. يقول البعض أن اليقظة الكوردية هي رد فعل على التعصب التركي، ويقول آخرون انها حركة متأصلة في نفوس الكورد وانها طفحت على السطح بعد استيقاظها من سبات طويل ورغم كل ذلك هنالك تطورات مشجعة منها، افتتاح معاهد كوردية في المدن ويستطيع الآباء ارسال اولادهم اليها ليتعلموا القراءة والكتابة باللغة الكوردية في الوقت الذي يكتب معظم الكتاب الكورد بالتركية قبل يشار كمال فان اخرين مثل محمد اوزون يكتبون بالكوردية ويشجعون الاخرين على ذلك إن الفضائيات التلفزيونية تبث برامجاً بالكوردية من العراق واوربا، أن مقداراً قليلاً من البرامج الكوردية يعرض في التلفزيون التركي ولكن من المحتمل أن تتوسع هذه البرامج في المستقبل، قد لا تشهد تركيا احياءً للغة الكوردية كالذي يحصل في كوردستان العراق ولكن مع تطور الأحوال الاقتصادية للكورد في تركيا فانه من المحتمل ان يزداد اهتمامهم بالثقافة واللغة بعد أن تحرروا من شظف العيش وهموم الحياة اليومية.

الهوية القومية موضوع معقد يصعب توضيحه بسهولة، يقول عالم الأجناس ديفيد أن القومية شبيهة بصلة القرابة.

عندما يتعرف الناس الواحد على الآخر لانتمائهم إلى نفس المجموعة العرقية فان هؤلاء يشعرون بصلة تشبه صلة القرابة. إن قومية مثل قومية هذه المجموعة

تميزهم عن غيرهم وتعتمد على تاريخ مشترك ممزوج بخصائص اخرى مثل الدين والعرق واللغة والثقافة المشتركة، وطبقاً لأحد الاستطلاعات فان ٢٢٪ من أولئك الذين اشتركوا في الاستطلاع يؤمنون بأن حل المسألة الكوردية يأتي عن طريق خلق دولة منفصلة لهم بينما عارض ٥٠٪ فكرة الدولة المستقلة، الأغلبية فيهم فضلوا العضوية المزدوجة. أنهم مواطنون أتراك وهم يفتخرون أن يكونوا جزءً من تركيا ولكنهم يريدون أن يعترف بهم ككورد ويكون لهم حق التعبير بلغتهم وثقافتهم.

الفصل الرابع

في النظم الشفوية لنقل الثقافة كان التبجيل يُعطى لكبار السن وللذين يحتفظون بذكريات عن الماضي ولديهم مهارة في استخدام الأمثال ولهم القدرة على تقديم المواضيع أمام جمهور المستمعين، ولكن بتوسع دائرة القراءة والكتابة فان القوة والنفوذ تحولا إلى أولئك الذين، يتقدمون في المدارس وغالباً يعود الشبان من مدارسهم وهم لايعرفون شيئاً عن التقليد الشفوي لمجتمعهم.

المعرفة الأصلية والتقليد الشفوي

إذا كان الكورد أحفاداً للميديين فمن الجائز وصفهم بأنهم من سكان منطقة الشرق الأوسط الأصليين، إنهم بدون شك سكنوا المنطقة قبل الترك والعرب رغم الغموض الذي يكتنف أصولهم، المعرفة الاهلية التي هي المعرفة التقليدية هي الفهم الجماعي لمجموعة معينة حيال طبيعة العالم المحيط بها.

أن هذا الفهم يتضمن المعتقدات الراسخة الجذور وكذلك الحكم والقيم التي كانت المجموعة تمتلكها قبل الاستعمار وقبل أن تكون عرضة للنظام التعليمي الرسمي للدولة، إن الثقافات المترسخة في التقاليد الشفوية تقوم بنقل ثقافتها شفوياً من خلال الأساطير و الخرافات والفلكلور الشعبي والاغاني الامثال والشعر.

- الكورد واحد من بين مجموعات كثيرة اعتمدت على التقليد الشفوي في نقل ثقافتها وتمييز نفسها عن غيرها.

وكما هي الحال مع مجموعات ثقافية عديدة وحيث أن العالم بدأ يتقلص وأخذت الجماعات الأصلية المنعزلة تحتك بالثقافات التي تعتمد التكنولوجيا والعلم الحديث فان الموروث التقليدي الشفوي بدأ بالضمور وحلت محله أشكال

أخرى من الاتصال والفهم الامر الذي جلب معه تغييرات كبيرة.

- من خلال الاشكال المتنوعة للتقليد الشفوي إستطاع الكورد نقل تأريخهم واهتماماتهم وتقنيات البقاء والمعتقدات الدينية والشعور بالهوية الكوردية إلى الاجيال اللاحقه.

الكهول عادة ينقلون الثقافة الأصلية من جيل إلى جيل. كبار السن هم الموثوقون بهم في المجتمع لأنهم يمتلكون خزيناً من الحكمة الثقافية التي تراكمت خلال أجيال يقول أحد الكورد أنه عندما يتعلم الشخص الأمثال فانها تعطيه الحكمة وفهم الحياة وتأتي الامثال أيضاً من الشيوخ الذين لديهم خبرة في الحياة وإذا انسجم الشخص مع هذه الامثال فانه يصبح رجلاً طيباً ونافعاً.

السكان الاصليون واجهوا مهمة الحفاظ على طريقة حياتهم بوجه القوى القمعية. في الأيام التي سبقت وصول الكهرباء إلى القرى الكوردية في العراق كان الناس في يجتمعون في احد البيوت أو في الديوان (غرفة كبيرة مخصصة للفنانين مع وجود وسائد على امتداد الجدران الداخلية) للأستماع إلى الاغاني الشعبية التي انتقلت من جيل إلى جيل ولها علاقة بشؤون القرية أما أهم فعالية كانت رواية القصة الشعبية.

انواع التقاليد الشفوية

- هنالك اشكال متنوعة للتقليد الشفوي، القصص المحفوظة و قصائد الشعر والأغاني كانت تعتبر ملاحماً. أي بمعنى أنها تستعمل لغة قواعدية يمكن حفظها بسهولة عن ظهر قلب، القصص يستعمل في سردها لغة رسمية وهي لغة الحياة اليومية، كان المغنون يؤدون نوعين من الملاحم، وكانوا يسافرون من مكان إلى آخر وغالباً ماكانوا يطلبون المال لقاء فنهم هذا يقول جويدة أن مهمى ئالان كانت الملحمة الاكثر شعبيةً ورواجاً وهي الأقرب إلى الملحمة القومية الحقة، والشاعر الكوردي أحمدي خاني حول الملحمة الاسطورة إلى الشعر على صورة " مهم و زين" التي هي قصة حب لها مضامين سياسية، والشعر يشبه القصة الملحمية أو الاغنية، إن القافية والايقاع في الشعر يتطلبان استعمال نفس

الصيغة التعبيرية الامثال والحكايات هي تعبيرات قصيرة وهي أقصر من الأساطير والقصص، تفهم الأساطير على أنها حقيقة ولو أنها صعب التحقق من صحتها وهي حديثة مقارنة بالخرافات أما الفرق الآخر بين الاسطورة والخرافة فهو أن نصوص الاسطورة تكون دنيوية أو مقدسة ويقوم الاشخاص بدور الخصم والزعيم بينما ترمز الخرافات إلى حدث مقدس وتحوي الخرافة عادة شخصيات من عالم الخوارق.

أما القصص الفلكلورية فانها خيالية و دنيوية ولها ممثلين من البشر وغير البشر.

إن أنواع التقليد الشفوي في المجتمعات الشفوية متنوعة كتنويع، تلك التي هي من منابع مكتوبة في المجتمعات المتعلمة.

- جميع انواع التقليد الشفوي فيها البحث عن المعاني عامل موحد قد يكون المعنى فيها في عملها الاجتماعي أو أهميتها النفسية او معناها بالنسبة إلى الثقافة أو تأثيرها في السامعين ولكن التقليد الشفوي اولاً وأخراً وسيلة لإيصال المعنى، لقد التقيت بعدد من البيشمركة ومعهم سلاحهم وعتادهم وقنابلهم اليدوية وهم يبكون عند سماعهم الشعر، لم تظهر عليهم علامات الشعور بالخجل عند كشف العواطف و أن ذرف الدموع لسماع قصيدة عاطفية عن الحب العذري أو عن الوطن الموضوعان الرئيسان في الشعر الكوردي عمل لايقلل من الرجولة.

الخرافات والاساطير والقصص الفلكلورية

- يعرف روث فاينغان Finnega الخرافة على انها نثر قصصي في المجتمع الذي تروى فيه وتعتبر الخرافة تعبيراً صادقاً كما حصل في الماضي السحيق، وأحياناً يكون التمييز بين الخرافة والأسطورة والفلكلور الشعبي أمراً غير واضح وهي تعتبر جمعياً من عائلة واحدة.

المهم هو ما يقوله الكورد عن أصولهم، انهم يعرفون بأنهم قوم عريق في التأريخ ولهم جذور عميقة في منطقتهم ولقد سمع الكورد عن أسلافهم المزعومين لايعرفون دقائق الأمور عنهم، إحدى الأساطير التي بقيت على مرّ الايام

والعصور هي أسطورة كاوة الحداد البطل الكوردي في ميسوبوتاميا.

- كاوة اسم محبب على قلوب الكورد وقصته هي مصدر Newroz احتفال اليوم الجديد الذي يشير إلى بداية الربيع والعيد الكوردي المشهور. تقول أسطورة كاوة أن ملكاً يدعى "ضحاك" كان يعاني من مرض غريب لايمكن الشفاء الا بأكل مخ اثنين من الشبان أوالشابات. ولذلك استوجب الأمر قتل شخصين كل يوم ولكن الجلاد أخذته الشفقة بالضحايا فعمد إلى قتل واحد فقط من الاثنين كل يوم ومزج مخ الضحية بمخ خروف وبهذه الطريقة كان يرسل هؤلاء الشبان الناجين إلى الجبال كي لايعرف الملك بهم، وفي منفاهم بين الجبال تزاوج الناجون والناجيات وأنتجوا الحبوب وربوا الحيوانات وسموا أنفسهم كورداً. في يوم من الايام قرر كاوة الحداد الثورة على الضحاك حيث بلغ السيل الزبى فجمع الناس وأمر كل عائلة مشتركة في التمرد بإيقاد نار إعلاناً لبدء التمرد إن عادة إيقاد نار كل يوم عيد نوروز هي عادة مستمرة إلى يومنا هذا.

- وهنالك خرافة تروى عن الملك سليمان ذلك الملك المشهور الذي جاء ذكره في القرآن والانجيل ولكن بشكل مغاير لما ورد في الخرافة وتقول الخرافة أن الملك سليمان أراد أن يضم إلى حريم القصر نساءً أخريات فأرسل عدداً من الجن إلى اوروبا لجلب نساء شقراوات وزرقاوات العيون، لم يستطع الجن مقاومة جمال الحسناوات فقاموا باغتصابهن وغضب عليهم الملك فأرسل الجن والحسناوات نسلهم إلى جبال زاكروس حيث اصبحوا اسلاف الكورد، بغض النظر عن الجوانب الأسطورية للقصة فان هنالك بعض الغموض الذي يكتنف وجود نسوة شقراوات العيون بين كورد اليوم و الذين يتميزون بالشعر الاسود والعيون السود الرحالة الاوروبيون علقوا دائماً على هذه النقطة والكورد يذكرونها باستمرار، كورد كثيرون آمنوا باسطورة الملك سليمان أو لم يؤمنوا يعتقدون أنهم آريون والذين هم شعب أوروبي واصبحوا سمر الجلود بسبب العيش عبر قرون طويلة مع الغرب واقوام اخرين غزوا مملكة الآريين عبر قرون من الزمن.

الكورد يشيرون باستمرار إلى الكلمات"Nu" بمعنى new والتي بالعربيه جديد Sherim القريبة من Shame الانكليزية والتي تعني الخجل Heg بمعنى Eyg

الانكليـزية وتعنى البـيـضـة و ruber بمعنى river الانگليـزية و Du بمعنى two الانگليزية و Du الالمانية والقائمة طويلة بكلمات اخرى هي اساسية في الكوردية واللغات الأوربية، تعتبر الكوردية احدى اللغات الاندواوروبية والكورد يصنفون على أنهم من الشعوب الاندواوروبية.

- يذكر مهرداد أزادي قصصاً للأطفال لشخصيات فيها هي دببة وثعالب وحيوانات أخرى تأخذ هيئة البشر، أحدى هذه الشخصيات تأخذ اسم خدرٌ (khidir) وهي تمتلك معرفة كونية غير محدودة وتخترق الارض والسماء ويعتبر آزاد شخصية "خدر" تجسيداً للآلهة والقوى الخارقة التي لها طاقات هائلة تحكم الطبيعة ويستنجد بها طلباً للمساعدة.

من الأمثال الكوردية:

"اقول لك، انه ذكر وتطلب مني أن احلبهُ" و المثل يقال عندما يصر أحد على أخر أداء عمل خارج طاقته، الكورد وقصة طائر السلوى (القبَج) أنه القتال الذي خيبّ آمال الكورد، بدل التوحد عندما كان عدوهم صدام يتربص بهم. هناك مثل دارج حول مسألة التوحد بين الكورد. يقول المثل Dinya hemi neyare Kewiye, Kewji neyare xweye.

ومعناه أن العالم كله عدو لطائر السلوى ومع ذلك فان السلوى أسوأ عدو لنفسه. المثل الكوردي هذا يُشبه حالة الكورد بحالة طائر السلوى يحيط به الصيادون وبدلاً من التوحد في وجه الاعداء يبدأ السلوى بالتقاتل بينهم وهن بذلك يزدادون ضعفاً على ضعف ومثلما هي الحال مع السلوى فان قتال الكوردي للكوردي يضعف من مقاومتهم لعدوهم.

قينج العمل الأؤوب Zrek

على الشخص أن يعمل إلى يوم توافيه المنية

Hate mirne kirne Hate kefa deste pes nebit, tama devi xwes nadit

لايشعر المرء بحلاوة طعامه إلا بعد اسوداد كفه من العمل.

الكورد والترك القاطنون في المدن ينظرون إلى موجات الكورد القادمين من الشرق وجنوب شرق تركيا نظرة إزدراء لجهل هؤلاء بأسلوب حياة المدينة ولأنهم غير مثقفين ولديهم جيش من الأطفال، كما انهم يحملون القادمين الجدد مسؤولية إزدياد نسب الجرائم من قتل وسرقة وخاصة سرقة محلات وبيوت الأشخاص المجدين الناجحين.

هؤلاء المهاجرون يروون قصصاً محزنة عن طريقة وصولهم إلى هذه المدن وهم معدمون لايملكون شيئاًو الشخص الذي يحقق النجاح في حياته محل اعجاب الآخرين، الاثرياء يكتبون تاريخ حياتهم ويتحدثون عن ايام فقرهم، الكورد الذين شقوا طريقهم في الحياة وحققوا النجاحات يقولون أنه بامكان الجميع التقدم في الحياة إذا كانوا راغبين في العمل.

- في كوردستان العراق تستعمل عبارة Zirek للدلالة على الشخص المجد في العمل، الجدية في العمل خصلة محمودة.

الكورد في العراق يشيرون إلى الأب الذي انجب أطفالاً كثيرين بأنهُ Zirek والذي عنده عدد اكبر يعتبر gelek Zirek والذي لديه عدد قليل من الأطفال يوصف بأنه Ne Zirek أي غير نشط.

مع نمط الحياة في المدينة وارتفاع تكاليف المعيشة فإن معدل عدد الأطفال في العائلة الكوردية العراقية أصبح ٧,٦ أطفال وهذا العدد مرشح للانخفاض أكثر ولكن ليس بمعدلات الدول الغربية أو حتى المجتمع التركي، بدأ الاتراك يساورهم القلق بسبب انخفاض الانجاب عندهم والذي هو بمعدل ١-٢ طفل في الوقت الذي يبلغ معدل الانجاب لدى العائلة الكوردية ١٠- ١٢ طفلاً وللكوردي زوجة او زوجتين أو ثلاث زوجات. هنالك مثل يضرب برجل كوردي متزوج بأربع زوجات وله ٤٨ طفلاً وهو لا يعرف اسماء قسم منهم.

الكورد يعرفون سببه رغبة العائلة القروية في انجاب عدد اكبر من الاطفال فهي تحتاجهم لتربية المواشي والعمل في الحقول.

ولكن عادة انجاب عدد كبير من الأطفال لاتزال منتشرة بين الكورد في المدن أيضاً رغم ظروف المعيشة الصعبة.

لاصديق للكورد غير الجبال No friends but the Moutains أحد أهم الأمثال عند الكورد هو Kurdan heval ninin bes ciya ويعني أن لا صديق للكورد غير الجبال والتأريخ الكوردي مليء بالحوادث التي اضطر الكورد فيها إلى الهرب من الاعداء والاحتماء بالجبال صديقهم الموثوق به ومصدر قوتهم، أدناه وصف للجبل من قبل أحد من استطلعت رأيه: نحن قوم جبليون وموقعنا ولغتنا يجعلاننا مختلفين عن غيرنا، الكورد الذين يعيشون في قرى جبلية بعيدة عن مراكز المدن اكثر تمسكاً بالتقاليد وهم يعرفون اشياءً لايعرفها إهل المدن، أنهم يعرفون قصصاً اكثر، إن للجبال فضل على الكورد حيث أن الكورد في الجبال يستطيعون الدفا ع عن انفسهم أفضل. وهم يحتاجون الحرية مثل الجبال الشامخة التي لا تنحني لأحد عند القتال مع قوات الحكومة حيث لم يكن لدى الكورد مايلوذون به غير الجبال، الكورد مقاتلون جيدون في الجبال هي حماة الكورد.

لا مكان أحلى من (الوطن) No place like home

هنالك مثل كوردي يقول Sham Sheker wilat Sherintir المعنى الحرفي للمثل هو أن دمشق حلوة ولكن وطننا أحلى. هذه الكلمات تذكرة بعدم الاعتقاد أن الامور هي افضل في مكان أخر أخذ البعض ينبش في الوثائق التي تبرهن أن أجدادهم كانوا يهوداً أجبروا على اعتناق الاسلام واندمجوا في الثقافة الكوردية حتى يستطيع الخروج من العراق وقام آخرون ببيع بيوتهم واعطوا ألوف الدولارات إلى المهربين للعبور إلى تركيا ومنها يذهبون بجوازات مزورة إلى اوروبا، القليل منهم حقق الهدف وكثيرون غرقوا في البحار او القي القبض عليهم واعيدوا إلى العراق. كنت دائماً اكرر تلاوة هذا المثل على الكورد الذين أرادوا مغادرة كوردستان.

– الكورد في تركيا هم الاخرون لديهم رغبة ملحة للهجرة إلى اوروبا أرض الاحلام، أقطار اوروبية عدة قبلت الكورد من تركيا كلاجئين بعد أن قدّموا أدلة على اضطهادهم السياسي والديني، أما الولايات المتحدة فانها قلما تقبل كورداً

من تركيا ونظراً لوجود علاقة حميمة بين تركيا والولايات المتحدة فانه لا يُسمح أي تنديد بتركيا من قبل الولايات المتحدة ولايوجد مبرر لقبولهم فيها.

- ان تهريب الكورد إلى الغرب عملية ابتزازية مربحة ودفع كثيرون مبالغ طائلة للوصول إلى الخارج. التقيت بتركيا في المانيا وهم يبحثون عن ملجأ في كنيسة ويعيشون في خوف دائم من الطرد.

أنهم يخافون من قيام الكنيسة بوقف دعمها لهم وتسليمهم إلى السلطات، يصعب على موظفي الهجرة تمييز اللاجئ الحقيقي عن ذلك الذي جاء بحثاً عن العمل، واخيراً يكتشف الكورد حقيقة العيش في اوروبا بعد أن دفعوا كل ما يملكون للوصول اليها، حال وصولهم يجدون أنفسهم في وضع هو اصعب من الذي كانوا يعيشونه في بلادهم وتصيبهم خيبة أمل ولكن ما باليد من حيلة.

وظيفة التقاليد الشفوية

- لكل نوع من انواع التقليد الشفوي غاية ويخدم وظيفة معينة لأعضاء المجتمع، التقليد الشفوي يأخذ أحياناً شكل المنافسة التي بواسطتها يتحدى القراء ورواة القصة الشعبية الواحد منهم الآخر في سجالات كلامية وبراعة ثقافية، المتبارون يحصلون على إحترام السامعين، يأتي المغنون إلى القرية ويبدأون بالغناء من المساء إلى صباح اليوم الثاني. يتحدى الواحد الاخر.

الذين يحفظون قصصاً كثيرة ومثيرة كانوا ايضاً موضع التقدير.

- التقليد الشفوي يوفر أيضاً الانموذج الذي يعلم القيم المثالية للمجتمع هذه القيم تبقى على الثقافة حية وهي في نفس الوقت مرايا تعكس ثقافة المجتمع أما الشرف قيمة مهمة في المجتمع سواء كان ظاهراً أو باطناً، المثال الآتي يوضح الشرف الخلقي: جاء راعي غنم أثناء رعي قطيعه في يوم من الايام على فتى وفتاة وهما في وضع جنسي مشين .Sherim

عندما رأي هذا المنظر المشين إستل الراعي خنجره وقتل الشاب والشابة، إعتبره أهل القرية رجلاً يملك الشرف ويذود عن شرف القرية، وشعر أهل الفتى

والفتاة بالخجل من الحادث بدلاً من الغضب على الراعي الذي قتل الأبن والبنت أما اليوم فيختلف الأمر والحادث لو حدث الآن لعوقب الراعي حسب القانون لجريمته. هنالك قيم أخرى كانت تنقل إلى الاجيال بشكل شفوي وخاصة من قبل العائلة، الابتعاد عن الغش والكذب والسرقة واحترام والكبار والقيام بتكريم الضيف كلها كانت قيماً يجرى التاكيد عليها، أن القصص حول الكرماء الذين كوفئوا لكرمهم و عن البخلاء الذين عوقبوا لبخلهم كثيرة بين الكورد.

– كانت القصص كثيرة عن الحب العذري مثل قصة مهم وزين التي يعرفها معظم الكورد، وقع مهم في حب زين، ولكن والد الفتاة أراد تزويجها من ملك اليمن ولكنها مغرمة بمهم ولا تريد ملك اليمن قرر رجل شرير يدعى بكر أن يفصل بين المحبين، نشر هذا الرجل دعاية شريرة مفادها أن مهم يحاول التقرب إلى زين لأغضاب شقيقها وليس حباً فيها، قام هذا الشرير بإضرام النار في بيت مهم واحدث القطيعة بين العاشقين. قُتل مهم و ماتت زين حزناً وكمداً عليه عند قبرة، هنالك اعتقاد شعبي مفاده أن أي عاشقين إذا لم يستطيعا الزواج في الدنيا فانهما ستيزوجان في الحياة الثانية وعليه يعتقد أن مهم وزين متزوجان وهما الآن في الجنة، وهنالك جانب اخر للقصة وملخصه أن شجرة ذات أشواك تنمو في دم بكر وجذور هذه الشجرة تفرق بين مهم و زين حتى في موتهما، القصة التي كتبها أحمدي خاني في القرن السابع عشر تروى الان على شكل أغنية تغنى في حفلات الزفاف قام المغني الكوردي شفان پەروەر بتسجيل القصة غنائياً، يؤكد كبار دارسي التقاليد آن القصص تبقى فعالة والتغييرات في حكايتها لاتقلل من قيمتها، التقاليد الكوردية قد تروى بطرق مختلفة دون أن تفقد من قيمتها وقوتها.

يقول أحد الذين استطلعت رأيهم أن هناك مضموناً سياسياً في قصة مهم و زين، حتى القصص الغرامية تحمل عناصر للمقاومة في رسالة خفية، العاشقان يمثلان الشعب الكوردي الذي يحاول أعداؤة تمزيق صفه، سياني اليوم الذي يتحرر فيه الشعب كما هي الحال مع مهم و زين اللذان إتحدا في الجنة، لاخظ الترجمة الثالثة لأبيات من ملحمة مهم و زين.

دعها للعناية الالهية
الكورد في هذا العالم
لماذا هم محرومون من حقوقهم؟
لماذا هم محكوم عليهم بالهلاك؟
الترك والفرس يحاصرونهم
من الجهات الاربع
ويجعلان الكورد هدف سهامهم.

– قصص أخرى تدور حول المقاومة وهي تركز على الشجاعة التي يبديها الهاربون من اجل حرية الكورد بما فيهم الپيشمركة الذين يخاطرون بحياتهم وهم يقاومون قولت الحكومة، يقول أحد الاكراد الذين حصلوا على اللجوء في الولايات المتحدة في ١٩٩٧ ان الأب أو أحد افراد القرية كان يجلس و نحن حولهُ وهو يقص علينا قصصاً من بطولات الكورد، كان يخبرنا كيف أن العرب والترك والفرس هم ضد الكورد وكيف قاموا بتدمير قرانا، يقول هذا الكوردي أن بيته دمر ثلاث مرات لسبب واحد هو أنه كوردي، ويقول كوردي آخر أن أباه كان يعتز بالكورد ويتمنى لو يحصل الكورد على حقوقهم ويتحدث عن شجاعة الكورد وكان مثل البارزاني لايخشى الموت ، ويقول كوردي ثالث أن أباه قاتل مع الثوار مدة ٢٥ سنة وأن أمه أنجبته وهي في كهف في الجبال لأن القرى كانت تقصف بالقنابل. لاعجب في أن تركز القصة الكوردية على مواضيع المقاومة والشجاعة في المعارك حيث الناس يرون بأم اعينهم قراهم وهي تدمر وعليهم اللجو إلى الجبال والى دول الأعداء في الجوار، حدث هذا ثلاث مرات في ١٩٧٥ و ١٩٨٨ و ١٩٩١، يستطيع الواحد تخيل أمسية حول موقد نار والكل يحتسي اكواب الشاي في الوقت الذي يروي أحدهم قصص البطولة التي أبداها أهل القرى ضد القوات المعتدية وكورد العراق يعرفون هذه القصص وهم يعتزون بها وينقلونها إلى الاولاد، قصص كوردية مشهورة كانت تستخدم باسلوب جميل و معاني جديدة، عندما يريد الاب غرس قيمة الشجاعة في نفوس الاولاد فانه

يطلب منهم أن يكونوا شجعاناً صامدين مثل الجبل او كصخرة فيه.

- في تركيا المسألة تنطوي على تعقيدات اكثر حيث لايوجد فيها هذا الموروث النضالي، القول احد اكراد تركيا أن الناس في منطقة رغم كونهم كورداً فانهم يعيشون في بحبوحة من العيش ولم يسبق لهم أن اشتركوا في ثورة أنهم يفتخرون كونهم جزءً من تركيا.

- ان الثورات التي سبق وأن نوهنا عنها في الفصل الثاني حدثت في الماضي البعيد ولم يكن في مقدورنا العثور على معاصرين لأحداثها، أما حركة التحرير التي يقودها Pkk فهي على درجة من الحساسية بحيت لايمكن، معها مناقشتها بصراحة. في المناطق التي يعرف الناس بعضهم البعض بشكل جيد فانهم يستطيعون التحدث عن شجاعة مقاتلي Pkk ولكن ليس بنفس الحماس الذي يتحدث به كورد العراق عن البشمركة، الناس لايرضون بقسوة والحاد Pkk. بالاضافة إلى ذلك هنالك اعداد كبيرة من الكورد الذين جندتهم الحكومة لمقاتلة عناصر Pkk ان اسباب قوة الروح القومية لدى كورد العراق تعود في جزء منها إلى قصص البطولة التي نقلها الآباء والأمهات الى الأبناء في الوقت الذي كانت هذه العملية معدومة او ضعيفة بين كورد تركيا.

تأثيرات التعلم (القراءة والكتابة) على النقل الشفوي للثقافة

- في ثقافات معينة لايعتبر التقليد الشفوي أساسياً في نقل وغرس المعتقدات والقيم والتاريخ والمحافظة عليها فحسب بل انها حيوية لقدرة اعضاء هذه الثقافات في فهم العالم المحيط بهم ايضاً و يقول أونغ الخبير في الثقافات الشفوية أن التقليد الشفوي يساعد الناس على خزن وتنظيم وايصال ما يعتبرونه مهماً للأخرين ويقول أن من بين الوف اللغات التي ظهرت على وجه الأرض استطاعت ١٠٦ لغة انتاج أدب وأن ٣٠٠٠ لغة موجودة الان استطاعت ٧٨ منها انتاج أدب.

- كان على ثقافات عديدة وعلى امتداد التأريخ اجراء تعديلات عند إنتقالها من النمط الشفوي إلى النمط المكتوب، في حالة القصص المنقولة يعتقد ديفيد

أموس Amos أن التحول عندما يحدث تتغير المواضيع من طويلة إلى فلكلورية قصيرة ومن النمط الملحمي الطويل إلى القصائدي القصير ومن الحكاية إلى الأمثال و من المناسكي إلى الشعري.

– وسوء الحظ فان التقليد الشفوي لم يلق ما يستحقه من اهتمام الأجيال الشابة الحاضرة ونظراً لتأثير القراءة والكتابة فان الشباب اليوم لايهتمون بموروثهم الثقافي الشفوي يقول لاديسلاوس سيمالي عن تجربته التعليمية الأفريقية المعاصرة أنها كانت تعلمه احترام المعتقدات والقصص للشعوب الاخرى غير الأفريقية ولم تعلمة فلكلور وتأريخ ومعتقدات افريقيا.

إن رفض ثقافة السكان الأصليين من قبل المؤسسات التعليمية للدولة هو تجربة لكثير من المجموعات العرقية الواقعة تحت هيمنة المجموعة الحاكمة ومن ضمن هذه المجموعات الكورد، يقول كورد كثيرون انهم درسوا التأريخ في المدرسة ولكنهم لم يدرسوا شيئاً عن تأريخهم وهويتهم ولم يرد ذكر للموروث الثقافي الكوردي.

الاطفال الكورد في تركيا يتعرضون للضرب لعدم تمكنهم من تعلم التركية أو إن هم تكلموا باللغة الام (الكردية).

– يقول ديفيد لويس أن تدمير حياة شعب من الشعوب هو نوع من الابادة العرقية، الكورد عانوا كثيراً من الابادة العرقية ويطلق على الكورد في تركيا مصطلح "ترك الجبل" وينكرون عليهم وجود لغة خاصة بهم ويقولون أن لغتهم مزيج من التركية والعربية و الفارسية، الأطفال في القرى الكوردية يبدأون الدراسة بالتركية و لايسمح للأطفال بالتحدث بالكوردية ولاتجد عطل خاصة بالكورد وحتى صلاح الدين الايوبي منقذ المقدسات الاسلامية من الصليبيين لأيعترف بكورديته إلا نادراً، اخبرني أحد الاكراد العراقيين بأنه في طفولته كان فخوراً بصلاح الدين لأنه كوردي، معلم التأريخ كان يكرة الكورد إلى حد أنه طلب مسح العبارة القائلة بأن صلاح الدين كوردي وتبديلها بعبارة، إنه عربي، بالنسبة إلى مجتمعات مثل المجتمع الكوردي التي تُبجل التقليد الشفوي كسمة للقيادة و اعتمدت عليها كطريقة للابقاء على ثقافتها حية تجد التحول إلى قيادة

جديدة أمراً صعباً جداً.

أن القادة الذين تلقوا تعليمهم في مؤسسات رسمية لم يعيروا اهتماماً كبيراً للحكمة التقليدية ولم يعطوا للمعرفة الأصلية أية قيمة، يقول هيرب كليم klem عن التغيير الذي حصل في المجتمع النيجيري بعد أن تعلم الجيل الجديد في المدارس الرسمية أن هذا الجيل المتعلم فقد كل احترامه لثقافة الكبار ولايكن لهم الاحترام الذي كانوا يحملونه لهم في السابق، إن تحطيم الهيكل الاجتماعي التقليدي قد يؤدي إلى حدوث صراع داخل القبيلة، الوضع صعب جداً عندما يجد القادة التقليديون اصحاب الحكمة ورجاحة العقل انفسهم وقد تخلىء عنهم افراد العشيرة و فقدوا التقدير والاحترام الذين اعتادوا عليهما.

– اليوم اكتسب العديد من قادة الكورد ثقافتهم من مصادر شفوية والكورد اليوم يريدون لأولادهم أن يذهبوا إلى المدارس حتى وإن تأثر بذلك مركز الزعيم.

التلفزيون والتقاليد الشفوية

– ان اهمية التقليد الكوردي الشفوي تقلصت بسبب قوى المدينة وتوفر التكنولوجيا وازدياد اعداد المتعلمين، اكد العديد ممن استقيت المعلومات منهم أن التلفزيون هو الذي ادى إلى التقليل من قيمة التقائيد الشفوية في نقل المعلومات. الأمسيات التي كانت تقضى سابقاً في الاصغاء إلى القاص والموسيقى أو الشاعر اصبحت اليوم مكرسة لمشاهدة التلفزيون إما في البيت أو المقهى.

– في قرية جبلية جميلة في كوردستان العراق – قرية كانت في السابق تضم ٢٥ بيتاً تقلصت العوائل اليوم فيها إلى ثلاث، كل عائلة من هذه العوائل نصبت مولدة كهربائية، تذكّر رجل كبير قصصاً عديدة سمعها وحفظها في طفولته ونقلها إلى اولاده إنه لم يعد يرويها لأحد حيث الجميع يجلسون أمام شاشة التلفزيون ويقضون اوقاتهم في مشاهدة البرامج، يقول كوردي أخر أنهم كانوا في السابق يجلسون في احد البيوت وتتوسطهم صينية مملوءة بالجوز واللوز والزبيب يتسامرون ويسمعون الحكايات ولكن التلفزيون حلّ محل ذلك.

ويقول كوردي أخر أنه قبل دخول التلفزيون إلى بيوت القرية كان في كل قرية

رئيس هو الاغا والمختار، الناس كانوا يجتمعون في أحد البيوت يقصون القصص اويناقشون شؤون القرية في بعض الاحيان كان هنالك فنانون يأتون إلى القرية ويغنون.

- ولكي لانظهر حياة القرية في الماضي بالحياة المثالية فقد كان فيها فقر ومرض وحالات قتل بين العائلات او مع الحكومة والامية كانت متفشية والجهل بالعالم الخارجي كان مطبقاً ولكن اختفاء اسلوب الحياة الذي الفة الناس لقرون عديدة بسبب اختراع حوّل الناس من مشاركين للثقافة إلى متفرجين يعتبر خسارة كبيرة، أبطال اليوم هم مغنون وموسيقيون لايعرفون شيئاً عن مأسي ومعاناة شعبهم ففي الماضي عندما كانت البطولة للمقاتل الذي واجه العدو ببسالته وتضحيته، فإن أبطال اليوم يعرفون عن الرقص الغربي اكثر مما يعرفون عن تراث امتهم.

- ومع استمرار الكورد في التمدن وتلقيهم للتعليم الحكومة فان الثقافة الشفوية تحول إلى أنماط الثقافة المكتوبة، الشباب الكورد يقلدون الاخرين ويتلقون اليوم الثقافة الغربية، ولكن الواجب يحتم علينا أن نذكرهم دوماً بأهلهم وتراثهم وسوف يقدرون ويحرمون ثقافتهم الكوردية وهويتهم عندما تتاح أمامهم الفرصة للتعرف عليها وفهمها عن كثب.

الفصل الخامس

العلاقات والادوار والتقاليد

- اتصل بي كوردي من مشيغان حول مسألة تخص الهجرة و صادف وجود كوردي في منزلي عند تلقي المكالمة، طلبت منه أن يتحدث مع المتكلم من مشيغان لنرى إن كان يستطيع الاجابة عن أسئلته، بدأوا الحديث حول مواطنهم الاصلية في كوردستان العراق وعن رئيس العشيرة، في غضون دقائق قليلة اكتشف الرجلان أنهما اقرباء عن طريق الزواج.

- القرابة بين الكورد تركيبة في قالب التروبولوجي مناسب، القرابة الكوردية بتعبيراتها تختلف من مكان إلى اخر، التعابير المستخدمة مثلاً في منطقه هكاري في تركيا قد لا تكون مشابهة لتلك الموجودة في مناطق اخرى من تركيا او كوردستان العراق. أن مجرد عدد العلاقات يجعل من ايجاد مصطلح مناسب امراً اكثر تعقيداً، أحد الزعماء المثقفين له ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ قريب ولم يسبق أن التقى بهم وهو لايعرفهم لا بالوجه ولا بالاسم.

- يصعب على الغربيين ادراك العلاقة الاجتماعية الشائكة بين اقوام مثل الكورد تلك العلاقة القائمة على القرابة و ليست المصالح، عند عقد صداقة مع كوردي تصبح الابواب مفتوحه للتعرف على شبكة من الاقرباء في مناطق مختلفة، صفقات العمل والعلاقات الاجتماعية تمت بسهولة من خلال شبكة الأقرباء، لمثل هذه العلاقة حسناتها وسيئاتها باستطاعة الشبكة جعل الحياة سهلة إذا كان الشخص يتعامل مع اناس تربطهم الرابطه العائلية، ولكن إذا حصل ما يغضب أحد افراد الشبكة هذه فان شبكة الاصدقاء تتحول إلى أخرى معادية ويمكن أن يحدث نزاع عائلي. Xwindari.

النزاعات العشائرية شائكة في معظم المجتمعات القبيلة، في حالة القتل او إنتهاك للشرف فان الاقرباء الذكور للمقتول أو المعتدى على شرفه مطالبون بأخذ الثأر من الجاني او من عائلته إذا لم يكن الوصول إلى الجاني ممكناً يقول جويدة أن زعماء العشائر يحاولون فض النزاع قبل استفحاله إلى نزاع دموي طويل وشامل الحسم يشمل عادة دفع الدية في السابق أو إعطاء فتاة كعروسة إلى احد أفراد عائلة المجنى عليه على أمل اعادة السلام والوئام بين العائلتين بانحسار الروح القبيلة ومجيء حكومات مركزية قوية فان عدد وشدة المنازعات العائلية قد تقلص.

العائلة ونقل الثقافة إلى الجيل القادم

– xwin na bita av الدم لايصبح ماء

– على غرار المجتمعات الاخرى في الشرق الاوسط تميل العائلات إلى حصر السلطة بيد الانباء سناً فيها، سلطة الذكور تكون من طرف الاب والعريس والعروسة عادة في كنف العائلة او الى الجوار منها، رئيس العائلة يكون عادة الأب وفي غيابه يكون الابن الاكبر هو الرئيس والكل يمتثل لأوامره و رغباته، أن رئاسة انثى في هذه المجتمعات ليس بالامر الغريب وحتى هؤلاء الكورد الذين يتخرجون من جامعات أوروبية وأمريكية يستشيرون آباءهم في مسائل الزواج أو امتهان حرفة.

الروابط العائلية والعشائرية مهمة جداً في كوردستان العراق قدمني احد الاشخاص الذين يعرفونني إلى احد اصدقائه الذي هو شاب في العشرينيات من عمره، اخذني هذا الشاب في سيارته من طراز (بي ام دبليو) في جولة في شوارع المدينة، صاحب السيارة هو ابن احد الاغوات والذي وقع في غرام إبنة اغا عشيرة اخرى، رغم مكانته الاجتماعية و ووضعه المادي الجيد رفض والد الفتاة تزويجها منه لأنه شخص ليس قريباً لها، البنت لاتستطيع عصيان أوامر والدها بالفرار معه وتعريض نفسها للعقوبة.

– قد يبدو هذا النظام الابوي بالياً وتمييزيا ضد الاناث في العائلة ولكن

عندما يكون الاب عادلاً وعطوفاً فان الأناث في العائلة يشعرن بالامان، ذكرت لأحد افراد عائلة كوردية بانني متعلق بابني ولكننا نبتعد الواحد عن الاخر باستمرار قالت احدى النساء بأن نفس العلاقة هي عادية وقائمة في العائلة الكوردية والاباء ملتصقون ببناتهم اكثر من ابنائهم والامهات الكورديات تستند إلى الأنباء في الدعم العاطفي.

- عندما تلبس الفتاة بشكل غير محتشم حسب العادات او عندما يصدر منها فعل مخجل فان هذا برهان على أن أباها رجل سيء لم يحسن تربيتها أو أن والدها متوفى، عندما ذكرت للكورد بأن لي معارف وهم مطلقون ردوا علي بأن هذا أمر سيء للغاية لأن في طلاقهم فساد لاخلاق البنات. البنت بدون رعاية أبوية تبحث عن الرعاية من مصادر أخرى وقد ينتهي بها الامر إلى احضان الرذيلة.

- المشكلة في الشرق الاوسط هي صرامة بعض الآباء مع البنات وعدم ابداء عواطف ابوية نحوهن. نشرت الجرائد ومحطات التلفزة صوراً يندى لها جبين العالم المتمدن لأب وشقيقه وهما يجرون ابنته ويرفسانها في أحد شوارع اسطنبول لأن البنت شوهدت في احدى الحانات جرى هذا الحادث أمام انظار مئات المتفرجين في الشارع وانتهت بالوصول إلى الجرائد، بعد ذلك بمدة قصيرة خرجت مظاهرات احتجاج طالب المتظاهرون بانهاء سلطه الاب الدكتاتورية.

- الاباء الذين ينتقلون من الريف إلى اسطنبول عليهم تربية اولادهم وفق الظروف الجديدة، يمكن تصور الصراع العائلي بين الآباء الذين تربوا في الريف وبين الابناء والبنات الذين تربوا في وسط اكثر تحرراً من الناحية الاخلاقية.

- كانت لي فرصة قضاء عدة ليال في قرية تركية مع عائلة زرت ابنة العائلة بعد عودتها من زيارة لعائلة تبعد عشرة اميال عن القرية، كانت علاقتها مع والدها علاقة حميمة وقوية نجم عنها نوع من الاستقلالية لكن قلما تظهر فتاة مثلها في مجتمع محافظ لتقود سيارة وتلعب كرة القدم مع الرجال، انها في الواقع تتصرف وكأنها فتاة امريكية وليست فتاة مسلمة من منطقة محافظة.

- عندما زرتها في الجامعة قادتني إلى حيث يرقص الطلاب والطالبات

ويشربون ويدخنون النارجيلة، ادهشني تحررها وسألت صديقاً إن كانت علاقة والدها المتساهلة معها قد منحتها هذا القدر من الثقة بالنفس أجلسها صديقي الذي كان في الخمسينيات من العمر ونصحها بأن تكون اكثر حذراً في سلوكها كي لاتجلب العار لعائلتها.

حذرها من الرجال الذين يضعون المنوم في مشروب الفتيات وبعد ذلك يقومون باغتصابهن، قالت الفتاة أنها تشعر في بعض الاحيان أن أباها اعطاها حرية اكثر من الحد اللازم وتمنت لو كان على درجة اكبر من الشدة والصرامة و قالت بأنها حذرة من اولئك الذين يضعون المخدرات في شراب الفتيات، إن كثيراً من المشاكل التي تعاني منها الفتيات تعود إلى شعور رعب بعدم محبة الاباء لهن.

التثقيف هو عبارة عن نقل القيم والمعرفة التي تعتبر ضرورية لعمل الناس في المجتمع وتبدأ العملية منذ الطفولة والحكم على العائلة الكوردية يأتي من القيم والمبادىء التي غرسها الآباء في نفوس الأبناء، أخبرني احدهم في اسطنبول أن رب عائلة علمته كيفية الجلوس بشكل معتدل مع ضم الساقين وكان يؤديه خلال محادثتنا التي استمرت ساعة في الوقت الذي غيرت فيه من وضعي في الجلوس عدد مرات خلال هذه الساعة لم يتحرك من مكانه الا نادراً ولم يغير من هيئة جلوسه، أخبرني أن الجلوس بهذا الشكل هو علامة تربية جيدة، وأنه لن يدخن في حضور والده ولو أنه يدخن السيكارة تلو الاخرى في مواقف أخرى لا يكون والده حاضراً فيها.

- الجدود والاباء ينقلون القيم المهمة إلى اولادهم وكما هي الحال مع جميع العائلات في العالم، بالاضافة إلى غرس قيم الخير والشر وجد الاباء أنه من الضروري تربية الاولاد على الكوردياتية نظراً لما تتعرض له الهوية الكوردية و القيم الاخرى إلى قمع من قبل السلطات،و يبدو أن العائلة الكوردية أبلت بلاءً حسناً في نقل قيم المجتمع الكوردي و الروح القومية إلى اولادها من خلال التقليد الشفوي، اخبرني كثيرون أن الامر لم ينحصر على الآباء في غرس القيم في الاولاد بل قامت الامهات ايضاً بدورهن في ذلك وخاصة في العائلات التي فقدت واحداً من أبنائها على يد السلطات.

الجنس والزواج

- تناقش المواضيع الجنسية بشكل علني وحرية اكثر بين العائلات الكوردية في تركيا من العائلات الكوردية العراقية، الفتيات يتزوجن في سن مبكرة ولكن ليس في السن التي كان الزواج يحصل فيها قبل ٢٠ سنة مثلاً والعروسة يفترض فيها أن تكون باكرة إذا ارتكبت المرأة الزنا فانها قد تقتل من قبل زوجها أو احد اقربائها والقرويون يعتبرون القتل في مثل هذه الحالة شيئاً مبرراً. أن قيام الذكر بارتكاب الزنا لا يؤخذ بجدية مثل ارتكاب المرأة له، قد يحدث بين المراهقين غير المتزوجين ولكن يحدث ذلك عادة بشكل سري. انتشرت الدعارة في تركيا بشكل مكشوف وخاصة بعد تدفق النساء من بلدان الاتحاد السوفيتي السابق ووصلت إلى ابعد القرى، احياناً ينصح الاب والاخ الكبير الابناء والأشقاء إلى ممارسة الجنس لأنهم يعتقدون أن الرجل لاتكتمل رجولته مالم يمارس الجنس بشكل منتظم و في سن مبكرة.

في القرية الكوردية يحدث الزواج لاسباب اقتصادية اكثر من كونه مسألة حب وعلاقة اجتماعية والزواج عادة يكون بين الاقرباء وخاصة ابناء وبنات العم.

- في احدى حفلات الزواج التي حضرتها في احدى مدن الوسط الغربي الامريكي تجمع ما بين ٣٠٠و ٤٠٠ كوردي وقدم كثيرون منهم من خارج المدينة، باستثناء حدوث الحفلة في مرج من مروج الجامعة كان كل شيء فيها يوحي وكأن الحفلة تحدث في كوردستان، النساء كن في زيهن الكوردي الزاهي، الأغاني كانت كوردية. لم تتوقف حلقة الرقص الكوردي الجماعية من السابعة مساء إلى منتصف الليل بدأ الرقص بحركات بسيطة يعرفها الجميع ثم تحول إلى حركات اكثر تعقيداً تتطلب مهارة وخبرة، باستثناء بعض الاطفال الذين كانوا يتكلمون الانكليزية كانت كوردستان وكأنها انتقلت إلى الغرب الامريكي.

حسب العادات والتقاليد الكوردية الزواج المفضل هو ذلك الذي بين ابن الاخ وبنت الاخ وهو الزواج المثالي ليس بين الكورد فقط بل بين اقوام اخرى ايضاً، الفرصة اولاً لابن العم قبل أن تقبل الفتاة الزواج بشخص غريب ولكن الزواج

من خارج العائلة أو العشيرة موجود ايضاً.

قد لايعرف الزوجان الواحد الاخر قبل الزواج ولكن العائلتين لهما معرفة الواحدة بالاخرى، العائلة تعتقد أنه إذا كانت العائلة جيدة فان الابن او البنت يكون جيداً ايضاً. في الشرق الاوسط الزواج يمتن العلاقة بين العائلات.

تحدث اليّ كوردي عراقي كهل عن موضوع الزواج في قريته، قال أن قسماً من كورد العراق يتزوجون داخل العائلة ولكن أخرين يتزوجون من خارجها، قال أنه شخصياً لم يتزوج من بنت عمه وكذلك لم يفعل والده وجده. البنت احياناً تتزوج من عائلة اخرى لأسباب مالية وخاصة اذا كانت العائلة واقعة تحت وطأة الدين، أحياناً تتزوج فتاة صغيرة العمر من رجل كهل لأسباب مالية.

- يقول بول ستارلنغ Sterling أن الزواج بين افراد العائلة وخاصة من ابن العم لايشجع اليوم خشية انجاب اولاد مشوهين (Sagat) أظهرت احصائية اجريت في ١٩٩٢ أن الزواج بين الاقرباء في المدن يصل إلى ١٤٪ و ٢١,٥٪ في القرية مقارنة بـ ١٧,٧٥٪ و ٢٩٪ على التوالي في السبعينيات.

ذكر كثيرون من الكورد أن وجود نسبة عالية من المعوقين سببه زواج الاقرباء.

اختيار شريك او شريكة الحياة أمر يخضع عادة لمشئية الاهل مع اعطاء قدر من الحرية إلى الأبناء إذا حدث تباين كبير بين مستوى الشاب والشابة الاجتماعي والمالي فقد لا تحصل موافقة الاباء وعندئذ قد يحدث هروب البنت مع الابن وتبدأ النزاعات العائلية، هنالك عادة تحدث تنظيم من حالة زواج بين عائلتين، مثلاً شقيقتان تتزوجان شقيقين من عائلة اخرى الامر الذي يخلق علاقة اجتماعية واقتصادية أقوى بين العائلتين، يحدث هذا عادة في القرية، أما في المدينة فالقواعد مختلفة ، ومع أن الزواج قد ينظم في المدينة من قبل الاهل إلا أن هنالك قدراً أوسع للأختيار بالنسبة للفتى والفتاة.

في المدينة يحصل الزواج على اساس توافقي وحتى في مثل هذه الحالة تكون العائلتان على علاقة بالموضوع والزوجان قد لايعرف احدهما الآخر، إن فترة (الخطوبة) التعارف عادة أمر غير مرغوب فيها او الزوجان يلتقيان بحضور افراد من العائلة.

- الحب موضوع مشوق في الفن والأدب التركي- الكردي وفي الافلام و المسلسلات التلفزيونية وتدور احداث الفلم عادة حول التباين الطبقي والمادي، هذا الاختلاف يبقي على الحبيبين بعيدين الواحد عن الاخر وفي اغلب الحالات ينتهي الفراق بموت أحد العاشقين او كليهما، بعض من الشبان تحرروا من القيود الاجتماعية البالية وقرروا العيش سوية حتى خارج نطاق الزواج الرسمي يعيشون بدون زواج، احياناً تهرب الفتاة مع الشاب إذا رفض الاهل قبول الزواج، اذا اثار هذا العمل حفيظة اهل الفتاة فان القتال قد ينشب بين العائلتين وتقع العداوة Xwin dori ان عملية هروب الفتاة مع الشاب حتى وإن كان بكامل رضا وقبول الفتاة فان النزاع قابل للاندلاع وخاصة إذا حدث اللقاء الجنسي بين الزوجين واعتقدت العائلة أن مستقبل الفتاة قد دمر، هذا الموقف يشبه موقف روميو وجوليت، ولكن إذا تدخل الاغا أو أحد الاقرباء المتنفذين فقد يكون بالامكان تجنب سفك الدماء ولكن الاثنين يصبحان منبوذين وقد تمضي سنوات قبل أن يستطيعا المذنبان العودة إلى حظيرة الاهل وفي حالات أخرى يدفع مبلغ من المال إلى عائلة الفتاة تعويضاً للخسارة التي لحقت بسمعة وشرف العائلة:

في كثير من الثقافات الريفية يشجع الخلق القروي بقوة على الزواج من زوجة واحدة وعلى انجاب عدد كبير من الاطفال وعلى الاقلاع عن الطلاق، إنجاب عدد كبير من الاطفال يوفر للأبوين الامان في شيخوختهما ولكن الزوجة لاتريد زوجها أن يقدم على زواج ثانٍ لأنجاب الاولاد ومع أن الاسلام سمح للرجل بالزواج من اربع زوجات إذا تمكن من أن يعدل بينهن فان تعدد الزوجات قلما يحصل والذين يمارسون انما يفعلون ذلك لاسباب اقتصادية حيث أن العدد الكبير من الزوجات يعني العدد الاكبر من الأبناء وهذا بدوره يعني ازدياد القوى العاملة في البيت، عقم الزوجة الاولى قد يكون سبباً في زواج ثانٍ وهذا أمر تخشاه كل امرأة كوردية ففي حالة العقم يحدث الطلاق او يحدث زواج ثانٍ، ومع أن الشرع الاسلامي يسمح بتعدد الزوجات فان الحكومات في البلدان الاسلامية كثيراً ما تمنع حصول هذا الشيء، في العراق لايشجع تعدد الزوجات ولكنه ليس محرماً ولكنه في تركيا محظور قانوناً، قد يحصل زواج ثان في العراق في

المناطق البعيده عن سلطة الحكومة بشكل أكبر.

- كان احد اصدقائي الكورد في العراق اكثر صراحة حول وجود زوجين له. وبعد ثماني سنوات عندما التقيت به للمرة الثانية قال أنه تزوج الثالثة عندما تحسنت ظروفه المالية، لديه عدد كبير من الاطفال بينهم ذكور يعملون جنباً الى جنب معه. حاول صاحبي هذا اقناعي بأخذ زوجة ثانية واقترح أن تكون كوردية عندما سألته عن سبب هذا الاقتراح سألني عن فطوري، قلت له انني تناولت الخبز بعد تنقيعه في الطحينة المصنوعة من السمسم، قال لي صديقي الكوردي ألا يكون الطعم ألذ إذا غمست بعض الخبز في اللبن أحياناً بدلاً من الطحينة عندما وافقته الرأي في ذلك قال لهذا السبب يستحسن بك أن تأخذ زوجة أخرى، بالنسبة له كان هذا المثل التوضيحي كافياً لتعدد الزوجات.

زواج الكورد من الكورد

- أحد الاسباب التي مكنت الكورد من الاحتفاظ على هويتهم هو تفضيلهم الزواج من الكورد وليس من الخارج.

- قال لي أحد الاكراد في اسطنبول أنه قد يصاحب فتيات و يصادقهن في كل انحاء العالم ولكن عندما يأتي الامر إلى الزواج فان الزوجة يجب أن تكون كوردية، لا يعني هذا ان الكورد لايتزوجون النساء التركيات او العربيات.

اعتاد صدام منح مكافآت مالية إلى العرب الذين يتزوجون كورديات لغرض تقليل تمثيل الكورد في المجتمع العربي ويقول أحد الكورد أن أعداءهم حاولوا دفع الكورد إلى الزواج من غير الكورديات، الكورد يجب أن يتزوجوا من الكورديات، هنالك حادث زواج بين الكورد وغيرهم وفي معظم الحالات تكون التضحية باللغة والثقافة الكوردية ويكبر الاولاد وهم يتحدثون بالتركية والعربية، يبدو أن الزواج بين الكورد هو أكثر تطبيقاً وممارسة في العراق منه في تركيا.

- الزواج من الاجنبي لاينظر إليه نظرة دونية وهو يفضل على الزواج من العربي، أعرف كثيرين من الكورد في الولايات المتحدة رجعوا إلى كوردستان ليتزوجوا من فتيات كورديات وفي الغالب هن قريبات لهم وينتظرون سنوات

طوال لحين صدور رسومات الدخول لجلبهن إلى الولايات المتحدة.

- أما في تركيا فيقول الكثيرون أن الزواج من اجنبية من بلاد الغرب هو الافضل فهو يعطيهم فرصة الوصول إلى الغرب وجواز سفر اجنبية ومركزاً مرموقاً في المجتمع والعامل الجنسي يكون سبب اخر، افلام الدعارة الخارجية منتشرة اليوم في تركيا الأمر الذي يزيد من جاذبية المرأة الفرنسية لدى الكوردي، اعرف حالات لرجال سافروا إلى الولايات المتحدة بتأشيرات دخول مؤقتة والتقو ببنات امريكيات راغبات في الزواج منهم وتزوجوهن، ولكن يتساءل المرأ عن الباعث في الزواج أهو من اجل الحب او لكسب حق اللجوء إلى الولايات المتحدة؟

الامر مفهوم إذ أن الرجال الذين يأتون من بلدان حيث الزواج المنظم والمرتب من قبل الاهل هو السائد وحيث ان العريس و العروسة بالكاد يعرف احدهما الاخر فان الامر لن يكون محجوباً ولا توجد غضاضة في الزواج من امرأة لم يمض وقت طويل على معرفته بها.

- بالتأكيد الرغبة في العيش في الغرب قوية وتدفع بالبعض إلى الزواج من اجنبيات، في احدى الحالات ذكرت الصحف البريطانية أن رجلاً تركياً تزوج من امرأة بريطانية تبلغ من العمر ٨٠ سنة للحصول على الجنسية البريطانية، ولكن موقف الغربيين والغربيات من الطلاق يؤثر في الكوردي في الزواج بسرعة من نساء غربيات، كورد العراق يرون في الطلاق امراً مشيناً ودليلاً على فشل الشخص في الحياة الاجتماعية، الزواج في المجتمع الكوردي يعتبر عاملاً للتوحيد بين العائلات والطلاق يجلب العار للعائلة.

الرقص الجماعي الشعبي Dawet

- يقول كوردي عراقي يقيم في منيسوتا باك Dawet هو رمز من رموز الاحتفاظ بالتراث والثقافة واطفالهم الذين نشأوا في الولايات المتحدة تعلموا هذا النوع من الرقص الشعبي وسوف يستمر طالما أن الكورد موجودون على الارض.

- زيارتي الاولى إلى كوردستان العراق كانت في شتاء ۱۹۹۱ بعد حرب الخليج الاولى، غمرني الكورد بكرم ضيافتهم وفي هذه الزيارة حضرتُ إحدى حفلات الزواج، هنا التقيت بأناس تحدثوا عن الدمار وكيف هربوا إلى الجبال والطائرات العراقية تقصفهم وعاشوا في مناخ شديد البرودة لاسابيع عدة من دون مواد غذائية كافية ودفنوا الوف الموتى، رغم كل هذه الصعاب احتفل الجميع بزفاف العريس والعروسة وعلموني كيف أؤدي معهم Dawet الرقصة الشعبية التي تنسي الأحزان.

- من بين تقاليد الزفاف هو Dawet الذي تتشابك فيه الايدي والاصابع بين الرجال والنساء وفي خطوات محسوبة وحركة الذراعين يرقص الجميع في دائرة لفترة طويلة والاغاني التي يغنيها احد المغنين وعدد من الموسقيين تروح لساعات طويلة، عندما ينتهي لحن ويبدأ لحن أخر فان Dawet تتغير، في السابق كانت Dawet تستمر ثلاثة ايام بلياليها ولكنها اليوم تقتصر على يوم واحد بسبب التكاليف الباهنة، يحضر الحفلة عدة مئات من الناس ولكن تكاليفها تخفف عن كاهل العائلة عن طريق مساهمات نقدية حسب قدرة ومكانة الشخص وتدفع إلى العريس والعروسة اثناء الاحتفال، كما يقوم الضيوف باعطاء البقشيش إلى المغني والموسيقيين للتخفيف عن كاهل العروس والعريس.

- لا تؤدى رقصة Dawet في حفلات الزفاف وحدها وهي ليست مقتصرة عليها بل إنها تؤدى في مختلف المناسبات، احتفل بتنصيب مسعود البارزاني رئيساً للاقليم عدة أيام وتخللت المناسبة رقصات للـ Dawet وبثت على شاشات التلفاز، اشترك شفان بەروەر في الاحتفال وغنى فيه ورقص في الـ Dawet وفي قرى بيوتها مبنية من الطين وحيث لا تتوفر الطاقة الكهربائية شاهدت Dawet، نساء القرية في زيهن الكوردي الجميل كما هي الحال مع نساء المدينة في الحفلات والمناسبات، وفي منيسوتا ومدينة سانت پول جرى رقص Dawet عندما اعلن عن تنصيب جلال طالباني رئيساً لجمهورية العراق.

مسائل الجنسين (ذكر وانثى)

- الذكر والانثى يعيشان في عوالم مختلفة، وفي معظم البلدان الاسلامية العالم الخارجي هو ميدان الرجل، وفي داخل الدار فان الغرف التي قد يدخلها العالم الخارجي نظمت بشكل لايمكن للمرأة ولوجها عند وجود شخص من العالم الخارجي فيها، وإذا ارادت المرأة المرور بالعالم الخارجي لقضاء مهمة أو في زيارة فانها تلبس بشكل لاتكون معروفة وتضع الحجاب، عالم المرأة هو بيتها و الرجل يتمتع بالهمينة والسلطة السياسية والاجتماعية وحرية التحرك واجب المرأة الرئيس هو انجاب الاطفال والاهتمام بهم وهي ملكة في بيتها والرجل يكون بمثابة ضيف عندها.

- ان خلاصة ما اوردناه تعطينا الفروقات الموجودة بين الرجل والمرأة في بلد اسلامي محافظ يقول أندرو مانكو Mango في دراسة له في حي العمرانية الفقير في اسطنبول الذي تقطنه الطبقة العاملة وحيث الساكنين هم قرويون وصلوا المدينة حديثاً أن ٤٤٪ من النساء يحصلن على اذن من الرجل للخروج من البيت في النهار وفي المساء ترفع النسبة إلى ٩٦٪. هذه الظاهرة توضح كيف أن الممارسات الريفية لم يتم التخلي عنها بشكل تام في المدينة، ويرى الغربيون في هذا نقطة ضعف في المرأة المسلمة.

- Meranissi يرى عكس ما يتصوره الغرب عن ضعف المرأة وتكوينها البايولوجي الضعيف فان الامر في الاسلام مبني على إفتراض قوة المرأة وكونها مخلوقة خطرة ويمكن فهم تعدد الزوجات والطلاق على انها ستراتيجيات لكبح قوة المرأة.

- النساء اللاتي يتمشين على أرصفة الشوارع في الميدان الذي هوحي كوردي وهن في ازياء مختلفة بين الاسلامي المتحشم والفرنجي الشفاف حصل معظمهن على رخصة بالخروج من ازواجهن أو آبائهن وأن معظم الرجال الذين يمشون معهن هم اقرباء لهن وليسوا اصدقاءً أو رجالاً تعرفن عليهم عرضياً.

الزي النسائي

- إن زيّ المرأة المسلمة كان مدار بحث ونقاش في كثير من الأوقات وخاصة الحجاب الذي هو غطاء الرأس للمرأة، الحجاب والعباءة يغطيان الرأس والذراعين والساقين وتصل العباءة إلى القدمين أما البرقع فهو غطاء للرأس والوجه، أثار زي المرأة جدلاً وردود فعل مختلفة بين اوساط المجتمع، بعض من النساء الغربيات اللاتي إعتنقن الاسلام أثنين على الحجاب وقلن عنه أنه عند لبسه لايقرن بكونهن مجرد بضاعة جنسية مثلما كنّ قبل لبسه واعتناقهن الاسلام، وهنالك نساء من العالم الاسلامي يقلن عن الزي الاسلامي بأنه رمز العبودية وهيمنة الرجل عليها.

- في كوردستان العراق المرأة في المدينة تلبس بصورة عامة "الدشداشة" عندما تكون في البيت اوالمنطقة المجاورة للبيت. الدشداشة ثوب فضفاض من قطعة واحدة وتغطي الجسم من الكتفين إلى القدمين وتصنع من قماش عادي وأحياناً من أقمشة اكثر قيمة، النساء يجدنها مريحة في البيت ولاتجد المرأة غضاضة في أن تقابل الرجال في هذه الدشداشة. في وجود الرجال عندما تخرج المرأة إلى السوق فانها عادة تلبس العباءة فوق الدشداشة وقلما تلبس ألمرأة البرقع في كوردستان.

في شمال العراق حيث الخط الذي يفصل بين المرأة والرجل اكثر وضوحاً كانت لي فرص قليلة للالتقاء بالنساء ولكنني مكثت لبضعة أيام مع عائلة كانت الزوجة مهندسة متدينة تلازم البيت مع ثلاثة أطفال، أخبرتني أن العباءة تلبس عادة من قبل المتزوجات وخاصة المتقدمات في العمر نوعاً ما، الفتيات العازبات لايلبسن العباءة ولكن يمكن رؤيتها وهي محجبة أحياناً، المسألة لاتبعث على الارتياح عندما تجبر الفتاة على لبس الحجاب وهي حالة لا تحدث إلاّ في حوالي ٥٪ من العائلات.

- في السبعينيات خلعت المرأة حجابها في معظم بلاد المسلمين وتكيفت مع العادات الخارجية وأخذت المرأة تنزل إلى العمل ولم يعد دورها يختصر في ترتيب امور البيت وانجاب الاطفال وتربيتهم، اعترف عدد منهن بأنهن تعرضن

للاستغلال الجنسي وشعرن بالفرا غ الروحي.

الكورد يفخرون بمدينة السليمانية كونها مدينة كوردية و جميلة ولأنها اكثر حرية تجاه المرأة وهي بمظهرها العصري وشوارعها النظيفة وتحرر المرأة فيها تشبه المدن الاوروبية (Vek Auropa) في الجامعات الكوردستانية الزي السائد بين الطالبات هو الاوروبي و ليس الكوردي التقليدي، حسب رأي ديانا كنغ (king) المرأة الكوردية في القرية في شمال العراق في خطر تعرض جنسي اكثر من المرأة الساكنة في المدينة لأنها في القرية على تماس اكبر مع الرجل في الحياة اليومية تشاهد المرأة من قبل الرجل على نطاق أوسع فهن يذهبن إلى خارج القرية لجلب الحطب وهن يذهبن لحلب الاغنام ويعملن في الحقول وهكذا فانهن على احتكاك اكبر بالرجال.

أن لقاء الفتاة بالفتى بشكل روتيني ويومي يؤدي إلى الافتنان (الواحد بالاخر) وبدوره يؤدي هذا إلى الاغراء الجنسي.

- أما في المدينة فيمكن عزل المرأة أو الفتاة بشكل أسهل والابقاء عليها في البيت وقلما تخرج الفتاة لوحدها ، إن بعض هذه التقييدات بدأت تخنق المرأة.

في القرية تلبس المرأة الدشداشة ولاتلبس العباءة عندما تكون خارج البيت، النساء في المدن اكثر انعزالية ويلبسن بشكل متحشم اكثر من نساء القرية.

- في تركيا تختلف النساء بينهن في العادات والملبس هنالك اتفاق في الرأي أن النساء اللواتي يأتين من شرق وجنوب شرق تركيا محافظات وتقليديات بشكل اكثر من نساء غرب تركيا ولكن هنالك اختلاف كبير في الزي بين النساء في تركيا، الكورد العلويون يتباهون بأن نساءهم قلما يلبسن الحجاب والملابس المحافظة الاخرى كالعباءة وماشاكل وهم يرون النساء اللاتي يلبسن الملابس المحافظة التقليدية على انهن واقعات تحت الاستغلال والاضطهاد.

- وكمثال على حالة التناقض في الملبس في تركيا شاهدت إحدى الفتيات وهي تصعد إلى الحافلة كانت في الثامنة عشرة من العمر ولها شعر أشقر طويل يخرج من تحت قبعة بسبول (كرة القاعدة). كانت الفتاة تلبس بنطلوناً ضيقاً

وقميصاً متعدد الالوان يحسب الناظر اليها أنها طالبة في المرحلة الاولى من الجامعة الامركية ولايحسبها انها من منطقة الشرق الاوسط، نصحني بعض الاصدقاء أن لا أحكم على أخلاق المرأة بملابسها وأن لاأعتبر الفتاة التي تلبس بشكل محافظ تقليدي أنها محافظة جنسياً وانها تلبس ثوب العفاف وأن التي تلبس على النمط الاوروبي لاتوصف بالعفة والطهارة يقول بعض من هؤلاء أن اللابسات بطريقة محافظة اكثر خطورة جنسياً من اللاتي يلبسن على الطراز الغربي، الرجال في تركيا ينظرون إلى النساء والغمز لهن وهم يعلقون على مفاتنهن، أما في العراق فانهم يشعرون بالارتباك عندما يشاهدون واحدة في زي غربي وعادة يغضون أبصارهم.

- بيل ماسك Mask ورفائيل پاشاي Patai أثنان كتبا عن عالم المرأة المعقد في الشرق الاوسط بخصوص الملبس والعلاقة داخل العائلة ونشاطها الجنسي، الفرق بين المرأة والرجل يبدأ بعد الولادة، مثلاً الاحتفال والابتهاج يرافقان قدوم المولود الذكر في العائلة بينما تخيم الكآبة والحزن عند ولادة الانثى، الذكور يرضعون من ثدي الام لفترة أطول مقارنة بفترة رضاعة الإناث، من هذه الممارسات توصل الدارسون إلى الاعتقاد أن الاناث في وضع ثانوي عند التعامل.

- أحد الكورد العراقيين من الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة في السبعينيات مع عائلة عمه وكان يومذاك حتى مراهقاً لم يرى عائلته الاّ بعد مضي ١٨ سنة عندما تسنى له السفر إلى شمال العراق في السبعينيات، وعندما حان موعد العودة إلى الولايات المتحدة ابدى هذا المثقف الذي يرتدي ملابس غربية من المشاعر على الحدود بين العراق وتركيا مالم اشاهدها طوال حياتي السابقة بدأ هو وأمه بلطم الصدور والوجوه وأجهشا بالبكاء كالأطفال وتعانقا وبكيا طويلاً قبل الودا ع.

- الكورد يولون شرف وسمعة البنت اهتماماً كبيراً كما يتضح مما سأذكره: أبنتي كانت في الثامنة من عمرها عندما وصلنا كوردستان العراق كانت تلعب مع صديقاتها الكورديات في زقاق المحلة لمدة سنتين، كانت تلعب معهم بالكرة،

وتلعب معهم لعبة الغميضة حيث تغمض احداهن عيونها وتبدأ البحث وهي مغمضة عن الاخريات المختبئات، بعد فترة بدأت صديقاتها ينقطعن عن المجي واللعب، علمنا أنه عندما تبلغ البنت الكوردية العاشرة والثانية عشرة عليها البقاء في البيت حيث لايلق بها اللعب في الازقة والشوارع في الوقت الذي لن تفكر فيه ابنتي بالزواج إلا بعد ١٠ أو ١٥ سنة فان صديقاتها الكورديات سيتزوجن في فترة ليست بعيدة من هذا اليوم.

- في كوردستان العراق عندما لايكون هنالك ضيف غريب فان افراد العائلة ذكوراً واناثاً صغاراً وكباراً يلتمون على وجبة الطعام جالسين أو على كراسي حول المائدة، وعندما يأتي ضيوف فان الرجال يتنالون طعامهم لوحدهم، احياناً يتناول الرجال الطعام إولاً ومن بعدهم النساء، الاطفال عادة يتناولون الطعام مع النساء، ولكن هذه العادة قد ضعفت كثيراً اليوم حيث الرجال والنساء اليوم يتناولون طعامهم معاً، أحياناً تقوم المرأة بتقديم الشاي وفي حالات أخرى لم اشاهد المرأة ترحب بنا والرجل هو الذي يقوم بتقديم الطعام والشاي تقليدياً يجلس الجميع على هيئة دائرة وتوضع اطباق الطعام وسط الدائرة ويتناول الجميع الطعام من هذه الاطباق.

- أما في تركيا وحتى في القرى فالأمر مختلف عما هو عليه في العراق. الرجال والنساء يتناولون الطعام معاً مع وجود حالات قليلة يتناول فيها الرجال طعامهم بشكل منفصل وخاصة عندما يوجد ضيوف. عادة تقوم العروسة الجديدة بتقديم القهوة والمرطبات وعند عدم وجود العروسة يقوم أحد الرجال بتقديم القهوة، في بعض العائلات يجلس الرجال على جانب من المكان والنساء يجلسن على الجانب الاخر من دون وجود حاجز بين الجنسين والحديث عادة يقتصر على الرجال ولا تشارك النسوة فيه إلاّ إذا كان الموضوع يخص الجنسين.

دور المرأة

- يبدو أن تحرير شمال العراق من قبضة صدام الحديدية لم يحرر المرأة

الكوردية كما كان يأمل الغربيون، لاتزال المرأة تؤدي الادوار التقليدية ولو أن بعضاً منهن يقمن بقيادة السيارة وادارة بعض الاعمال والعمل في دوائر الدولة.

– وطبقاً لما اورده جويدة فان معظم الدراسين يتفقون على أن المرأة الكوردية تتمتع بقدر اكبر من الحرية من المرأة العربية وتختلطن بحرية اكبر مع الرجال وتلبسن بشكل أقل تحفظاً وحتى انهن يرقصن مع الرجال في حلقة واحدة في الحفلات وهذا أمر لا يروق لرجال الدين في كوردستان، ويرى جويدة أن المرأة الكوردية هي سيدة بيتها والجميع بما فيهم الزعماء رهن بنانها.

– الكورد الذين يعودون إلى كوردستان بعد غياب سنين لايريدون للمرأة الكوردية أن تكون مقلدة للمرأة الغربية في الاختلاط ومسائل الجنس، أنهم يخشون أن تتسرب العلاقات العائلية الضعيفة والطلاق والحرية المخجلة المنتشرة في الغرب إلى المجتمع الكوردي، نساء التشات بعد أن مارسن حرية الاختيار في العمل وتحديد من ويحددن عدد الاطفال من المحتمل جداً انهن سيكافحن من اجل رفض فكرة أن دور المرأة هو انجاب عدد من الاطفال والاهتمام بهم حسب ما يشاءالله.

عمل المرأة لانهاية له Shuie jinke xilas nebit

الكورد يعترفون بقوة المرأة الكوردية واهمتيها في الحفاظ على العائلة وعلى المجتمع متماسكين شاهدت مئات النساء الكورديات في فترات أزمة الكيروسين وهنّ ذاهبات إلى الغابات ويقطعن الحطب ويحملن حمولات اكبر من أجسامهن، كنت اطلب من سائق السيارة الـ بيك أب (pikup) الوقوف و تقوم النساء برفع الحمل إلى داخل السيارة ويصعدن اليها ويجلسن إلى جانب الحمل ويكون أمراً مخجلاً إذا جلست احداهن إلى جانب السائق كنت أسأل نفسي كيف يستطعن الحفاظ على توازن الحمل الذي يحملنه على ظهورهن، يقول السائق أن النساء الكورديات نشطات:

– بعد عودة النسوة إلى بيوتهن يبدأن باعداد وجبة الطعام لعائلاتهن الكبيرة (ستة اطفال أو اكثر ورجال مسنون) يطبخن الطعام وتقوم بالاهتمام بالاطفال

وعليهن تلبية طلبات ازواجهن الجنسية بعد ذهاب الاطفال إلى فراشهم.

- احد الادوار الذي تؤديه المرأة هو عمل الخبز، في المجتمعات الشرق الاوسطية للخبز قدسية كبيرة ويجب التعامل معه باحترام. كثيراً ماكان الاطفال الكورد يوبخون الاجانب عندما كانوا يرمون قطعاً من الخبز على الارض بدون قصد منهم، وحتى في المدن يوضع الزائد منه لسلة خاصة والوجبة الخالية من الخبز تعتبر وجبة ناقصة، عندما جاءت المطاعم الصينية لأول مرة إلى اسطنبول ادرك اصحابها بسرعة أن عليهم تقديم الخبز مع الاطعمة الغربية حتى يشعر الزبون بكمال الوجبة.

ومن حسن الحظ فان سعر الخبز حافظ على استقراره رغم ارتفاع اسعار المواد الاخرى.

- في القرية يعتبر صنع الخبز مهارة بل مهمة مقدسة تنتقل من الام إلى البنت، إن معرفة إعداد الخبز تعتبر بطاقة مرور للعروسة الجديدة ووسيلة لكسب احترام عائلة العريس، في جنوب شرف تركيا راقبت زوجة صديقي واثنتين من قريباتها وهن يخبزن، هيأت الزوجة مسبقاً كمية من العجينه ووضعته في اناء كبير. اخذت كمية من العجين وحولته إلى شكل كرة وأعطتها إلى زوجة صديقي التي قامت بوضع كتلة العجينه الكروية على لوحة خشبية وباستعمال الشوبك حولت الكرة العجينية إلى جسم رقيق نوعاً ما و شكل دائري ووضعت كتلة العجينة بشكلها الرقيق المدور على الساج (قطعة حديد مدورة ومقوسة ومحدبة نوعاً ما من الخارج) الموضوع على النار الموقدة تحته، بدأت الحماة بتقليب العجين على الوجهين على الساج بضع دقائق ثم ترفعه وتصنع كل قطعه فوق الاخرى وتعمل كرساً من الخبز بارتفاع قدمين.

الخبز المعد (الرقاق) رقيع وهش سهل التكسر، ويُرش بالماء ويغطى بقطعة قماش حتى يلين، اثناء تناول وجبه الطعام يقوم الواحد بقطع جزء من الخبز المنقع ويغمسه في الحساء. الكورد لا يأكلون بأيديهم مباشرة في الطعام بل يأخذ قطعة الخبزNan ويدفع بها إلى الطعام من دون الظهور بمظهر غير المتمدن، في شمال العراق قضيت بعض الوقت مع عائلة لها سبعة أطفال

واكبرهم كان بنتاً غير متزوجة وكانت في غاية الجمال وكانت ذكية تأمل في الحصول على معقد في احدى الجامعات في كوردستان، عليها أن تدرس وأن تخدم اخوانها واخواتها و تحسم نزاعاتهم وتحافظ عليهم وتساعد أمها في اعمال الطبخ وتهتم بالضيوف وتتأكد من ان الجميع نالوا حصتهم من الطعام والشراب، في مظهرها تبدو وكأنها طالبة نشطه في المرحلة الاولى في جامعة امريكية.

ومع ذلك فقد ساورني القلق حول مستقبلها، هل ستتبع التقليد الكوردي تتزوج في فترة مبكرة وتنجب اطفالاً بقدر الذي يشاء اللّه لها؟ وهل أنها ستربي أطفالها على التقليد الكوردي أم أنها ستكمل دراستها وتجد لنفسها مهنة وبعد ذلك تتزوج! أي من هذه الخيارات سيكون الخيار المناسب لها؟ أمل أن يكون الزواج في وقت لاحق مع عدد أقل من الاطفال هو الخيار المفضل لديها.

- في الوقت الذي تتزوج غالبية الفتيات في وقت مبكر فان فتيات أخريات يواصلن دراستهن المتوسطه والاعدادية في المدن من المحتمل جداً أن التغيرات الجديدة ستؤثر على سن الزواج وعلى عدد الاطفال لكل عائلة وعلى دور المرأة.

المرأة الكوردية ودورها في غرس الروح الكوردية في الاجيال

- في كثير من الحالات كانت المرأة الكوردية ولاتزال تقوم بنقل الروح القومية وإذكائها، الامهات يلقين قصص البطولة والشجاعة عن البيشمركة على الاطفال. كانت الام تتصف بالصبر والجلد عندما كان زوجها بعيداً عن البيت في العمل أو القتال نقلن الروح القومية من خلال ما اظهرنه من شجاعة وتحمل وليس عن طريق معرفتهن بالثقافة والتقليد الكوردي.

التركيبة العشائرية والقيادة

- الكورد يشبهون الاسكتلنديين كونهم يملكون نسباً عشائرياً وتوجد نحو ٨٠٠ عشيرة في كوردستان. عالم الاجناس الهولندي مارتن خان بروينسن هو أحد المطلعين على التاريخ الكوردي ويصف العشيرة على أنها وحدة اجتماعية

وسياسية واقتصادية اقليمية مبنية على النسب والقرابة الحقيقية او الخيالية مع تركيبه داخلية خاصة بها.

العشيرة تتفرع إلى الافخاذ والبطون والانساب.

- أما جويدة فانه يصنف الكورد إلى صنفين هما العشائري واللاعشائري وتقليدياً كان الصنف الاول اكثر بداوة وكان هذا الصنف هو الطبقة الحاكمة. أما الصنف اللاعشائري فهم أولئك الذين اكثر استقراراً وتمدناً، جويدة و بروينسن كلاها يستعملان الكلمات العشيرة و التيرة وغيرها وهذه الكلمات تتغير من لهجة إلى اخرى و لاتنطبق المصطلحات على جميع المجتمعات الكوردية.

- في الكوردية تترجم كلمة " العشيرة" على أنها قبيلة أو الفخذ لكن الحدود التي تشكل العشيرة هي غير منتظمة، أخبرني أحد الاكراد في تركيا أن العشائرية قد أختفت تقريباً في تركيا باستثناء أماكن قليلة ولكن من وقت لاخر تنشر الجرائد صورة لأحد الاغوات مع ابنه أو أبنته الذي يحتفل بزواجه أو زواجها في حفلة كلفت عشرات الالاف من الدولارات. في مناسبتين أعطى احد الاغوات ١٥ كيلو ذهب إلى عروسة ابنه وفي الثانية إلى ابنته اضافة إلى الوف الدولارات التي اعطيت للموسيقيين والمغنين وعلى الطعام والمبيت في الفنادق لمدة ثلاثة ايام، إن حياة البذخ هذه وسط فقر مدقع هي الصورة التي تخطر بالبال عندما يأتي ذكر الاغا اوالعشيرة. التمدن وتغير الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتدخل المتزايد من جانب الحكومة كلها عوامل ساهمت في اضعاف العشيرة في اغلب مناطق تركيا، قليلون هم الذين يتأسفون على موت العشيرة التي هي مرافق للاقطاعية التي هي نظام بائد يتوجب القضاء عليه. في شمال العراق الوضع مختلف والعشائر لاتزال تلعب دوراً رغم ضعفها، الناس يقدمون أنفسهم بأسماء العشائر واسماء العائلات المشهورة هنالك اعداد كبيرة من العشائر في كوردستان العراق ولكل واحد منها منطقة نفوذها، قسم من هذه العشائر موجودة منذ ألاف السنين وبنفس الاسماء، فالزيباريون مثلاً ورد ذكرهم من قبل السومريين والأكديين باسم ساوبارو أو سيبارو وتظهر اسماء

عشائر عديدة في السجلات الرومانية الاغريقية والآرامية.

- يقول أحد من استطلعت رأيه أن العشائرية كانت ضرورية في كوردستان لأنها كانت حامية القيم الجيدة والعشائر هي روح الكورد، إن قوة الاغا الذي يحكم العشيرة عامل حاسم في النظر إلى العشيرة على انها جيدة او غير جيدة، بالنسبة لي العشائرية هي الايام الماضية المجيدة، إن الاساليب القديمة والعادات والتقاليد يمكن أن يفتقدها الناس ولكن ذلك لايعني بأن الناس يريدون عودة تلك الايام، يقول أحد الكورد العراقيين بأن هناك مئات العشائر وله عائلة متشعبة وكبيرة ولكنه لايؤمن بالعشائرية، إذ كانت الحكومة عادلة فيجب أن لاتكون هنالك عشائر لأنها سبب لخلق الكثير من المشاكل.

- يقول الكورد العراقيون الذين عادوا حديثاً بعد الاقامة في الخارج أن الاغوات لايزالون موجودين ولهم امتيازات كبيرة ولايسري عليهم مفعول القوانين، وحتى في تركيا التي لايتوقع وجود عشائر فيها فان السياسيين يتوددون إلى أناس من ذوي النفوذ كي يؤثروا على الذين ضمن دائرة نفوذهم للإدلاء بأصواتهم إلى حزب دون آخر أو شخص دون آخر ولو أن النظام العشائري قد تلاشى تقريباً فيها.

زعماء القرى وادوارهم

- بعض الاغوات لهم سلطه على عشائر مؤلفة من ألاف من الاتباع في مئات من القرى وهنالك آخرون لهم قرية واحدة وهم أقل قوة وحسب بعض الآراء هنالك صنفان من الاغوات، الاول يكون محترماً ومحبوباً من قبل تابعيه وهو يهتم بأمورهم ويعاملهم وكأنهم أفراد من عائلته، والصنف الثاني يعتبر شريراً ويعامل اتباعه كعبيد وقد أصبح عدد من الاغوات جحوشاً أو خونة لأنهم ساندوا الحكومة ضد قومهم وكان هنالك اخرون يتعاونون في الخفاء مع الثوار و يتظاهرون بالولاء للحكومة.

مسؤوليات زعماء القرى

– سواء أكان زعيم القرية أغا أو مختاراً تعينه الحكومة فان مسؤوليات الزعيم تتمحور حول أمور عدة، أول هذه الامور تمثيل القرية لدى السلطات، الاهالي يدلون بهمومهم وحاجاتهم إلى الزعيم الذي يقوم بدوره بإيصالها إلى السلطات وينقل جواب السلطات إلى اهل القرية.

أما المسؤولية الاخرى المهمة فهي مسؤولية القيام بدور الوسيط بين العائلات المتنازعة وتقع على عاتق الزعيم ايجاد الحلول للمسائل التي تحدث حول الاراضي، وفي حالة الزواج يقوم الزعيم بجمع العائلتين ويتباحث معهم حول الامر وتشمل المفاوضات مقدار المهر والذهب الذي يقدمه طالب الزواج وهو الضمانة للعروس في المستقبل وتشمل أيضاً مسألة السكن الذي يكون عادة في البداية مع عائلة الزوج.

– اخطر مسؤولية لرئيس القرية هي حل النزاعات، تحدث انواع عديدة من المشاكل التي تتطلب الحنكة والمهارة، بين العائلات والقرى أو مع عشائر اخرى، الرؤساء الذين يستطيعون حل النزاعات ويظهرون سياسة وحنكة ينالون مكانة عالية بين العشائر، اكبر تحدٍّ هو ذلك الذي يحدث عند هروب الفتاة مع الفتى (ra-vandin)، في بعض الحالات يذهب الفتى والفتاة إلى بيت الاغا طلباً للحماية، قد يبقى الاثنان لأشهر في بيت الاغا لأن افراد عائلة الفتاة الغاضبون لن يجرأوا على مهاجمتهم وهم في حماية الاغا وأحياناً وعندما لايريد الاغا أن يصبح في موقف عدائي لأي من العائلتين يطلب منهما الخروج من البيت وقد يرتب لهم امر الهروب إلى تركيا أو سوريا حيث يختفي الإنسان عن الانظار إذا لم يقم التوصل إلى حل تصالحي فقد يبدأ (xwandari) النزاع الدموي الذي قد يستمر لعقود من الزمن واحياناً لأجيال عدة.

ومع المدينة وزوال العادات البالية بدأت مثل هذه الممارسات بالتناقص يوماً بعد يوم.

- تحدثت مع احد الوجهاء والذي عاد ابنه مع عائلته من دالاس التي يقيم

فيها منذ ١٩٩٧، وهو في السبعينيات من عمره ويقيم في بيت جميل في المدينة، قال أنه توسط في مسائل الزواج، على مسؤول القرية حل المشاكل إذا وقعت وعليه يقع اللوم ان لم يفلح في احلال السلم.

إذا حاز الوجيه على ثقة الناس به فانه يكون موضع احترامهم ويذهبون اليه طالبين نصحه وارشاداته حتى وان كان يقطن في المدينة، بعض الوجهاء الموجودين في الولايات المتحدة يُستشارون عن طريق الهاتف إذا لم يستطع القائم مكانه حل المسألة.

لجان القرى

- في تركيا في كل قرية مختار ينتخب ويتسلم راتباً في الدولة وتنتخب معه لجنة مؤلفة من ٣-٤ أشخاص مهمتهم مساعدة المختار في ادارة شؤون القرية ولكن اعضاء اللجنة هذه لايستلمون رواتب من الدولة، كثير من مسؤوليات المختار واللجنة في القرية التركية مشابهة لعمل الوجيه في القرية العراقية، على اللجنة كسب ثقة اهل القرية، المختار واللجنة يمثلان القرية لدى السلطات ويعملان على حل المشاكل واحلال السلام، فمثلاً إذا كانت امرأة ترتكب الزنا فانها تنبه من قبل اللجنة، وإذا لم تمتثل للأنذار فان اللجنة ترفع تقريراً عنها إلى السلطات وقد يؤدي ذلك إلى نفي المرأة من القرية.

- لم يكن المختار أو اللجنة المنتخبة أداة لنقل الثقافة في تركيا لوحدهم حيث أن الوجهاء تحملوا قدراً من المسؤولية، الناس كانوا يجتمعون في أحد البيوت في المساء ويروون القصص واحياناً يناقشون المشاكل التي تواجه القرية والمختار الصادق والمحترم كان له تأثيره على الناس. السؤال الآن هو هل أن الوجهاء اليوم يلاقون نفس الاحترام الذي كان لهم في السابق؟ الجواب هو بالنفي، إن مهمة الوجيه حل محلها مهمة المؤسسات الحكومية المختارون والاغوات الوجهاء يحترمون اليوم لشخصهم وليس لمراكزهم ومسؤولياتهم.

الفصل السادس

القيم المركزية والطقوس الدينية

القيم هي معايير متفق عليها محلياً وعلى اساسها يتصرف الناس، القيم تجعلك تنصاع لأمر وتقاوم أخر وكيف تتعامل مع أصدقائك وتقاتل اعداءك وكيف تعيش صادقاً وتموت عزيزاً.

القيم هي عامة فلا يوجد مجتمع بدون قيم. تنظم السلوك لكل مجتمع دستوره المكتوب أو غير المكتوب يعكس مايعتبره هذا المجتمع أسس الحق والباطل والصواب والخطأ.

- يلخص پاشاي اخلاقيات الفضيلة في المجتمع البدوي تحت ابواب ثلاثة:

١- الضيافة والكرم.

٢- الشرف والكرامة.

٣- البسالة والشجاعة.

يمكن أن تطبق هذه الصفات على الكورد، رغم العداوة التي يضمرها الكورد للعرب فانه لايوجد أي شك آن الكورد تأثروا بالقيم العربية البدوية بسبب العوامل الثقافية والاجتماعية والدينية.

- إن القيم التي نوقشت في هذا الفصل هي مزيج انتقائي للقيم الكوردية والعربية والتركية والاسلامية والبدوية والقروية والغربية والجبلية، اين تنتهي واحدة منها تبدأ أخرى، ليس بالأمر الصعب فحسب بل وأنه غير ضروري ايضاً فمثلاً الحرية التي يتشدق الكورد بها، يمكن ارجاعها إلى كونهم قوماً جبلياً لأن سكان الجبال قاطبة وليس الكورد وحدهم ميالون للأستقلال، اهتمام الكورد بعفة وطهارة المرأة يمكن تنسيبه إلى الدين الاسلامي حسب اعتقاد البعض

ولكن اخرين لايميلون إلى تأييد هذا الرأي ويقولون أنه قيمة أصيلة في الكورد ويعود هذا الاهتمام بالمرأة إلى عهود ماقبل الاسلام.

خاصية الضيافة والكرم

- يحكم على الرجل على نطاق واسع من طريقة استقباله لضيوفه وكون الرجل مضيافاً أمر له أهميته عند الكوردي الذي يريد التباهي أمام ضيوفه وهو يعرف علم اليقين أنهم سينقلون اخبار سخائه وكرمه. تروى قصه عن رجل غني اراد مساعدة جاره الفقير دون أن يحرج مشاعره، كان الرجل الفقير يملك خروفاً ولايملك شيئاً أخر غير كوخه، وصل الرجل الثري إلى كوخ الفقير، أسرع الفقير إلى اعداد الوليمة لضيفه، وبعد الانتهاء من تناول الطعام عرض الثري على الفقير شراء خروفه بسعر مرتفع جداً يُمكن الفقير من شراء عدد من رؤوس الاغنام لتتحسن حالته، لكن أتضح ان الفقير قد ذبح خروفه تكريماً لمقدم جاره وحسب مقتضيات الضيافة.

- الكورد ليسوا وحدهم الكرماء ولكن عندهم الضيافة بمثابة واجب مقدس. الضيف عندهم هو ضيف اللّه mehran mhuanet xudene والمثل يبين الاهمية التي يوليها الكوردي للضيافة.

هنالك قصص يتداولها الكورد عن اولئك الذين رفضوا استضافة شخص تبين لهم بصورة محزنة أن الشخص المطرود كان نبياً أو مَلَكاً فندموا على فعلتهم أشد الندم، كما أن هنالك قصص أخرى عن عائلة فقيرة قدمت ضيافة إلى شخص إعتبر شخصاً عادياً ولكني ظهر بعد ذلك أنه ملك أو رجل صالح وكوفئت العائلة على قيامها بحسن الضيافة، روى لي أحد الاشخاص كيف أن قريته التركية خصصوا ثلاث غرف للضيوف، كل ضيف يعتبر ضيفاً من ضيوف الله ويسمح له بالبقاء بدون استفسار عن سبب مجيئه ومدة مكوثه.

- ضيف عائلة ضيف كل القرية Meivane yeki Meavan Gundeki هذا هو الشعور السائد تجاه الضيوف والضيافة.

- إن خرق أعراف الضيافة وقواعدها يمكن أن يؤدي إلى جعل الشخص

منبوذاً في المجتمع سمعت بقصة استاذ جامعي غربي وكان يعرف التركية جيداً وكان مجتهداً في المجتمعين التركي والكوردي، وعد الاستاذ أولاده بأن يكون المساء لهم ولن يسمح لأي حادث بافساد ذلك.

وصل ضيف له مقامه ومركزه بشكل مفاجئ والمطر كان ينهمر بغزارة توقع الضيف أن يسمح له بالدخول حسب عادة وتقليد أهل الشرق الاوسط الاستاذ لم يعزم الزائر وشرح له وعده لأولاده إعتقد الاستاذ أن الزائر فهم ولكن الاستاذ فقد مركزه السابق في المجتمع، من وجهة نظر الاستاذ الغربي الوعد يجب أن يحترم، أما في عرف الناس في المنطقة فان الترحيب بالزائر أهم من وعد قطعه إلى اولاده وكان على صاحب الدار واولاد النزول عند طلب الزائر.

– الكورد يعبرون عن اهمية الضيافة Male minc, male teye " بيتي هو بيتك" مثل يعبر عن كيفية التعامل مع الضيوف، ولكن اليوم في المدينة لايمكن تقديم نفس المستوى من حسن الضيافة، في القرية عندما يأتي الضيف يستطيع الشخص الانصراف إلى خدمته، أما في المدينة فقد يأتي الضيف وصاحب الضيافة قد لايعطيه صاحب العمل إذناً بالذهاب، وبما أنه يعتبر أمراً غير لائق أن يبقى الضيف مع المرأة في الدار لوحدهم فان الضيافة لاتقدم.

ومع زحف المدينة فان قواعد الضيافة التقليدية اصبحت اقل حضوراً ورسوخاً في اذهان الكورد وبدون شك فان الشعور بالخجل سيتلاشى تدريجياً.

– شيء واحد بقي على حاله دون تغير، عندما كنت أتناول وجبة مع الكورد لاحظت أنهم يقدمون طعاماً اكثر مما استطيع تناوله في وجبه واحدة اطباق مملؤة بالطعام يكفي لإطعام اكثر من ١٠ اشخاص الضيافة يدفع بالكوردي إلى اعداد طعام اكثر مما يحتاجه الشخص الواحد بالاضافه إلى الكمية فان النوعية يجب أن تكون من أرقى المستويات، في كثير من المناسبات كان يقدم إليّ اللحم الذي كان غالياً جداً وبذلك فهو لايشاهد على مائدة عائلة فقيرة وكنت أتساءل متى ستكون العائلة قادرة على تذوق اللحم مرة أخرى. Daste merde dermne derde اليد السخية علاج للداء ويضرب مثلاً لمنزلة المضيف وتشجيعاً على تقديم الضيافة.

- علاوة على سخائهم في الطعام الكورد اسخياء في الهدايا التي تلقيت منهم، اعطيت يوماً لكوردي نموذجاً من الحرف اليدوية للهنود الامريكيين، كان الرجل معجباً بكل شيء متعلق بالهنود الامريكيين وتأثر بالهدية أيما تأثير، واعطاني بالمقابل هدايا تمثل الحرف اليدوية الكوردية التي كان يستطيع بيعها بمبلغ لابأس به، ومع أنني أصررت أن آخذ واحدة منها فانه لم يدعني ابرح المكان الا ومعي جميع الهدايا.

- قد يشكل السخاء عبئاً على الكاهل، الكورد في الغرب الامريكي يجدونه أمراً مكلفاً حالياً، القيام بشراء هدايا للأهل والاصدقاء في بلدهم مهما بلغت المبالغ التي يجلبونها معهم او يرسلونها من الاجور التي يكسبونها فان الاقرباء يطمحون في المزيد، أخبرني أحد الكورد أنه من الصعب إفهام الاهل بأن العيش في الولايات المتحدة وأوروبا لايجعل الواحد غنياً بين عشية وضحاها وأنه من العسير ارسال المبالغ التي يطلبونها.

الشرف والشهامة

- اثناء اقامتي في كوردستان علمنا بخبر المكافأة التي رصدها صدام حسين لقتل اي موظف دولي في المنظمات غير الحكومية العاملة في كوردستان وقيل أن قيمتها هي ١٠,٠٠٠ دولار وهو مبلغ يعتبر كبيراً خاصة إذا علمنا أن راتب المعلم كان ٣ دولارات ومعظم الناس كانوا عاطلين عن العمل، ولكن طيلة فترة مكوثي في كوردستان لم يقتل الا عامل واحد ومات آخر في ظروف غامضة وراجت في وقتها اشاعات أن موته كان لعوامل انتقامية اكثر منه مكافأة من صدام، ولم يكن الناس مستيقنين من دفع المبلغ من قبل صدام إذا ما أقدم أحد على قتل أحد العاملين في هذه المنظمات، أما السبب الاكثر وجاهة لعدم حدوث محاولات قتل من هذا القبيل هو كون العاملين جاؤوا اصدقاءً للكورد وأعتبروا ضيوفاً عليهم وقتلهم يعتبرا أمراً مشيناً لايليق بأصول الضيافة الحقه، إذا اخذنا عامل إنعدام الأمن وغياب سلطة القانون وتوفر الاسلحة والظروف المعيشية الصعبة فانه شهادة متميزة للشرف الكوردي أنهم عاملوا جميع

الموظفين الأجانب باحترام وشهامة.

وحتى صدام نفسه صرح بأنه يثق بالكورد لشهامتهم ورجولتهم.

- المثل السابق يعكس الثقافة المثالية للكورد و لكن المثل الآن والقيم بدأت تتغير، قال أحد الاشخاص الذين استطلعت أراءهم وكان في منتصف "العمر دعنا من المثاليات ومفهوم الشرف المتهريء، الشيء الذي يحسب له الحساب هو المال اليوم"، عندما كنت اقيم في جنوب شرق تركيا وحل امريكيان رجل وامرأة وطلبا السكن إلى جوارنا، جاءني صاحب العمارة وقال لي بأنه غير مرتاح من اقامة رجل وامرأة غير مزوجين في عمارته لأن ذلك على حد قوله مخالف للدين الاسلامي ويناقض القيم التي يؤمن بها، أراد مني أن اخبرهما بضرورة تخلية البناية أو الزواج بسرعة، بعد عدة ايام قابلت الرجل والمرأة وأعلماني بإبتسامة لاحاجة للبحث عن شقة جديدة حيث انهما دفعا مبلغاً إضافياً قدرة ٥٠ دولار و قال مالك العمارة لهما أنه سعيد باقامتها في عمارته، هذه القصة وغيرها تبين صحة ما قاله بعض الكورد عن اهمية الثروة والمال في حياة الفرد الكوردي اليومية وأن طلب الثروة اصبح هاجساً يطغى على القيم التقليدية.

العار وثقافات الشعور بوخز الضمير

عندما كنت اقوم بتدريس اللغة الانكليزية بين الاعوام ١٩٨٢، ١٩٩١ كان النقاش حول الاختلاف بين المجتمع التركي والغربي يحظى باهتمام كبير من قبل طلابي، في المقاهي والمطاعم وفي القرى النائية ومخيمات اللاجئين واماكن العمل في المدن كان النقاش يحتدم حول اوجه الخلاف والتشابه بين الثقافة الكوردية، والتركية والاسلامية وبين الثقافة الامريكية والغربية، الغرب في نظر كثير من المسلمين ومنهم الكورد أن أمريكا يجذب إليه بسحره الكثيرين وينظر إليه أخرون بأنه مكان للحرية والرذيلة ومن جهة الغرب يقدم فرصاً للثروة والعمل لا حصر لها وهو مكان للعيش بحرية دون قيود إجتماعية مكبلة للحريات وهو من الجهة الاخرى مكان للتحلل والفضح الخلقي.

- كثيراً ما أجريت مقارنة بين ما يسميه علم الإجناس الثقافات التي يكون

فيها الشعور بالذنب مسألة بين المرء وضميره و بين ثقافة الشعور بالعار عندما لايرقى الفرد إلى مستوى توقعات المجتمع فيشعر بتأنيب الضمير والشعور بالذنب، في الثقافة الغربية الناس يتّخذون قراراتهم الاخلاقية على أساس الشعور الفردي بالخطأ والصواب طبقاً لما تملي عليهم ضمائرهم، ولكن هذا لاينفي أنه ليس هنالك تقييدات اجتماعية ولكن المسار الديني والخلقي يعتبر شيئاً مقدساً طالما أنه لايسبب أذى للآخرين، قد يشعر شخص بالذنب ازاء ممارسة معينة في الوقت الذي لايشعر أخر بأي وخز للضمير ازاءه على الاطلاق، ثقافة اهل الشرق الاوسط هي ثقافة الشعور بالخجل والشعور بالصواب والخطأ يأتي من المعايير الاجتماعية التي رسمها المجتمع وليس من الضمير الشخصي، الشعور بالعار اكبر من الشعور بتأنيب الضمير الذي له تأثير قليل على الشعور بالخجل عند خرق النواحي الاجتماعية.

– هنالك كورد كثيرون لايفهمون بعض الممارسات الغربية التي يسمعون عنها او يشاهدونها على شاشات التلفزيون، فمثلاً يتساءلون كيف يسمح لأناس غير متزوجين بالعيش معاً ولماذا لايمنع الشباب من الممارسات الجنسية وكيف يسمح للناس بممارسة الشذوذ الجنسي بشكل رسمي.

– يفهم من هذه المناقشات أن ممارسة الخطيئة (gunak) هي اكثر علانية في الغرب وإن الممارسات التي تخالف العرف والتقليد وخاصة مايتعلق منها بالجنس تحدث ايضاً في بلدان الشرق الاوسط ولكنها تمارس بشكل سري اكبر حتى لاتجلب العار. سمعت الكثيرين من الكورد وهم يتحدثون عن نفاق بعض المسلمين الذين يأتون من دول غنية مثل السعودية وغيرها والتي يحرم فيها كل أشكال الرذيلة بشكل رسمي، عندما يأتي هؤلاء إلى اسطنبول أو إلى بلدان الغرب ويتحررون عن القيود الاجتماعية التي تكبلهم فانهم يمارسون كل الاشياء الممنوعة في بلدانهم بما فيه معاشرة العاهرات ولعب القمار وشرب الخمر.

– بعد مناقشة جانب العار والذنب في الثقافتين الاسلامية و الغربية كنت أسأل طلابي الشرق الاوسطيين ان يدونوا مثاليات مجتمعهم وأن يجروا مقارنة بينها وبين حقيقة ما يجري في الحياة اليومية ثم أقوم بمقارنة مثاليات المجتمع

الامريكي مع حقيقة ماشاهده الطلاب في التلفزيون، توصلنا إلى نتيجة مفادها أن كلا المجتمعين الغربي والاسلامي لا يرتقيان إلى مستوى المثاليات فهما سواء في النواحي الروحية أو الاجتماعية كل مجتمع وكل فرد يحمل طابعه القومي وفيه اثار عمل الخالق ولكنه في الوقت نفسه يعكس ضعف المخلوق البشري الذي يقوده إلى ارتكاب الخطيئة والعار.

الشرف Karamat

- أجريت مقابلة مع كوردي عاش في الخارج لبعض الوقت وعاد إلى كوردستان العراق قال لي إذا فقد الشخص في الشرق الاوسط فان ذلك يعني فقدان الكرامة، عندما يشعر المسلم أن القرآن أو النبي قد أهين أو دنس بأي شكل من الاشكال فان ردّة فعل عنيفة أمر متوقع حدوثه، ظهر هذا الرد من الفعل عندما تحدثت وسائل الاعلام الامريكية عن قيام جنود امريكيين بتدنيس القرآن عندما استعملوا اوراقه بشكل غير مناسب في التنظيف، وبعد مدة نشرت الصحف نفياً لحدوث مثل هذا الشيء ولكن بعد أن وقع الفأس على الرأس حيث خرجت مظاهرات غاضبة وزهقت أرواح علماً أنه لم يصدر تأكيد رسمي للقصة، كما حدثت موجة من الغضب العارم في العالم الاسلامي عندما قامت صحف دانماركية واخرى غربية بنشر صور كاريكاتورية للنبي وهي تظهره بمظهر الارهابي.

- بالاضافة إلى خرق المحرمات في الدين فان الاعتداء على حرمة عائلة شخص فيما يتعلق بالنساء سيؤدي إلى رد فعل عنيف.

- الشرف أمر يعتمد على سلوك الشخص وبموجب هذا يمكن اكتساب الشرف وزيادته وكذلك نقصانه وفقدانه أما شرف المرأة فانه يولد مع ولادتها وينمو معها ولايمكن لها أن تزيد فيه لأن شرفها شيء مطلق وعليها المحافظة عليه، وأن أية زلة جنسية من قبلها مهما كانت صغيرة ستفقدها عرضها والذي إذا ضاع فلا يمكن استرجاعه.

- شرف العائلة الكوردية متوقف على شرف المرأة في العائلة، المرأة الكوردية

تحاول تجنب شيء يعتبر مشيناً وغير مناسب، لايجوز لها أن تشاهد بصحبة الغرباء ولايمكنها أن تخرج لوحدها، يقول مثل شرق أوسطي ما اختلى رجل بإمرأة الا وكان الشيطان ثالثهما (إنه حديث نبوي وليس مثل/ المترجم).

روى لي احد الوجهاء أن جندياً انكليزياً أبان الحرب الاولى لم يتمالك نفسه تجاه جمال أبنة أحد الكورد فقبلها من خدها.

أغضب هذا التصرف أغا العمادية المدعو شعبان وقال أن الانكليز إجتازوا الخط الاحمر فهاجم القوات الانكليزية وسحب الانكليز إلى وادي العمادية حيث هاجمهم الاكراد وطاردوهم إلى منطقة بامرني المجاورة، استدعت القوات الطيران وانسحب الاكراد ليعودوا مرة اخرى واجبروا الانكليز على ترك المنطقة. «الحقيقة أن ضباطاً اتراك حاولوا اثارة أهل المنطقة ضد الانكليز فكانت المناوشات التي وقعت في وادي العمادية ومنطقة بامرني فأثاروا قصة الجندي البريطاني والبنت الكوردية الجميلة». المترجم

- في الماضي (وحتى اليوم بين بعض العائلات) في الليلة الاولى من زفاف الفتاة كانت قطعة قماش بيضاء توضع على فراش العروسين إذا لم تتساقط قطرات دم عليها بعد عملية الجماع الأولى فان الفتاة يمكن أن تقتل أوتطلق وتحدث مشاكل بين العائلين لأن ذلك دليل على عدم عذريتها.

- إن مفهوم القتل غسلاً للعار لوقوع المرأة في خطأ جنسي ينظر إليه من قبل الكثيرين على أنه برهان لهمينة الرجل على المرأة، إن الاعتداء على شرف المرأة واغتصابها ومن بعد ذلك قتلها من قبل العائلة غسلاً للعار امر مرفوض في الغرب لأنه انتهاك لحقوق الانسان، إذا شوهد رجل وأمراة في عملية جنسية وهما غير متزوجان فان الرجل قلما يعاقب وهذا برهان آخر لهمينة الرجل على المرأة.

- تقول كريستيان بيرد انها استجوبت عدداً من الكورد وسألتهم عن رأيهم في قتل المرأة غسلاً للعار ولكنهم لم يرغبوا في مناقشة هذا الموضوع حتى لاينعكس هذا على ثقافتهم، استشهدت كريستيان بـ ٤٠٠٠ حالة قتل غسلاً للعار منذ ١٩٩١ وحصلت على هذا الرقم من احد النشطاء الكورد ولم تستطع التحقق

من الرقم بنفسها.

- قد لايكون جميع حالات القتل غسلاً للعار ولكنهم يضعونها في هذا القالب حتى يتلقى المرتكب عقوبة أدنى وعلى العكس من ذلك فأن عملية القتل غسلاً للعار قد تظهر على أنها حادثة عرضية للتستر على السبب الحقيقي وعلى كل حال إن قتل المرأة غسلاً للعار يحدث في كل بلدان العالم الاسلامي وفي أخرى غير اسلامية وإن كانت هنالك إدعاءات أن لاعلاقة لهذه الممارسات بالاسلام وأنها كانت موجودة في مجتمعات كثيرة قبل الاسلام في تركيا والعراق وإلى حد قريب كانت جريمة القتل لغسل العار أضعف من الجرائم الاخرى ويتلقى مرتكبوها أحكاماً أقل شدة. منذ ٢٠٠٣ لم يعد قتل المرأة لغسل العار جريمة قتل مختلفة عن غيرها فيما يتعلق بالعقوبة ولكن لايعرف إن كان القانون موضع التنفيذ. إن معظم حالات قتل النساء لغسل العار تأتي من شرق تركيا بين الكورد وليس بين الترك الاكثر اعتدالاً في المسائل الجنسية.

- تستشهد بيرد بالخبراء الذين يقدرون عدد جرائم القتل لغسل العار في تركيا حوالي ٢٠٠ حالة في السنة الواحدة ولكن مرة اخرى يصعب عليها التحقق من صحة العدد، الوالدان كثيراً ما يستخدمون اولادهم من هم دون سن الرشد لتنفيذ عملية القتل لأن صغير السن يتلقى عقوبة أقل، في ٢٠٠٣ سنت الحكومة التركية قانوناً جعلت عقوبة غسل العار اشد من السابق إذا قتل رجل زوجته أو قتل اختاً له بتهمة الزنا كان القتل يعتبر جريمة ثورة انفعال ومرتكبوها يعاقبون عقاباً بسيطاً، ولكن مع القانون الجديد فان قتل الزوجة حتى بسبب الزنا لم يعد سبباً يبرر القتل.

- التقيت بصديق لم اشاهدة لمدة خمس سنوات، أخبرني بأنه طلق زوجته التي اعرفها هي الاخرى ، وقال أن زوجته لم تكن مخلصة له، لم يستطع أن يتمالك نفسه فاجهش بالبكاء وبدأ يرتعش من قمة رأسه إلى أخمص قدميه من شدة التأثر والانفعال قال بأنه لايستطيع أن يخبر أحداً لماذا أقدم على طلاقها لأن الناس سيعتبرونه ضعيف الشخصية وأنه لم يكن قادراً على تلبية رغباتها الجنسية، اخبرني كيف شاهد زوجته وعشيقها في وضع مشين وكيف انهال

عليهما ضرباً في ثورة من الغضب، جاءت الشرطة وقيدوه بالاصفاد وأودعوه السجن، عندما عرف الشرطة بحقيقة الامر اعتذروا إليه وقالوا لو أنهم عرفوا حقيقة الأمر لما اقتادوة إلى السجن.

- أما صانفو فقد استشهد بما اورده باحث كندي الذي ادعي أن ٥٠، ٦٧٪ من النساء في تركيا يتعرضن لسوء المعاملة من الذكور في العائلة، أن الذي يمضون فترة في تركيا يجدون دليل اساءة الزوج للزوجة، الاساءة الجنسية هي خافية ولاتفصح الزوجة عن ذلك إلا لمن تثق.

النساء يخشين إتهامهن بالتمرد وعدم الانصياع لأزواجهن ويصبرن على سوء المعاملة بهدوء دون أن يشعر بهن أحد، إن هذا لايجعلنا نتصور بأن الاعتداء الجنسي في تركيا وغيرها من بلدان الشرق الاوسط هو أعلى مما هو عليه في الغرب إذ لاتوجد وسيلة للتحقق من ذلك.

-اشتهرت مدينة باتمان في جنوب شرق تركيا بكثرة حوادث إنتحار النساء، باتمان مدينه حديثة مليئة بالقادمين الجدد اليها من الريف طلباً للعمل فيها لوجود صناعة النفط وغيرها من الصناعات الحديثة، يسود فيها النظام العائلي الابوي السائد في الريف غير أن اسلوب العيش تغير عما هو عليه في القرية، هنالك فقر وجهل باللغة التركية والمرأة محرومة من كل انواع التسلية مثل التلفزيون والسينما لأن التركية هي لغة الدولة والاعلام.

- بالاضافة إلى ذلك فان حزب الله الذي ظهر على مسرح الاحداث كحزب مناويء لـ Pkk ساهم في الاحباط الذي تشعر به المرأة في باتمان بسبب استخدام الدين مبرراً للأساءة إلى المرأة وتشديد الخناق على حريتها ووردت انباء عن إقدام عدد من النساء على الانتحار بشنق أو رمي أنفسهن من أسطحة المنازل. ان معاملة الكورد للنساء تنطوي على بعض التناقض، الكورد يفتخرون بأن تعاملهم مع النساء هو الافضل في الشرق الاوسط، ولكن تبقى النسبة الاعلى من سوء معاملة المرأة في عموم تركيا محصوراً في المنطقة الكوردية و بين النازحين الجدد إلى المدن.

- يقول بعض الكورد عن الممارسات السلبية بحق المرأة أنها من نتاج وقوع

الكورد تحت الهيمنة التركية والعربية والفارسية لمدة طويلة وهم يقولون أن المرأة على امتداد تأريخهم كانت تتمتع بدور متميز في المجتمع الكوردي وكانت تتمتع بحرية أكبر من قريناتها في المنطقة.

– ومع الكلام الزاهي المعسول الصادر عن الكورد فان كورد تركيا يتميزون عن غيرهم بممارسة الزواج القسري وتعدد الزوجات وقتل النساء والحكم على المرأة بعدد الاطفال الذين تنجبهم وبين النساء الكورديات يحدث العدد الاكبر من حالات الانتحار.

علامات الانحلال الخلقي

– نشرت احدى الصحف التركية استطلاعاً للرأي شمل ٢.٥٠٠ طالباً من طلاب الدارسة الابتدائية والمتوسطة، بموجب هذا الاستطلاع الذي لم ينحصر في منطقة معينه أو على شريحة دون اخرى أن ٢٠٪ من هؤلاء الطلاب مارسوا الجنس على الاقل مرة و ٢٥٪ من هؤلاء مارسوه في سن الثالثة عشرة أو أقل السؤال هو هل أن هذه الاحصائيات تعكس حقيقة موجودة اليوم؟ وهل أنها ستجعل من مسألة الشرف أمراً بالياً أكل الدهر عليه وشرب؟ نأمل أن لايخرج النشاط الجنسي من عقاله بشكل لايمكن السيطرة عليه.

– اجرت عالمة الاجناس ديانا كنغ (king) التي عملت في شمال العراق تحقيقاً حول تغير العادات الجنسية ونظرة الناس إليه بما في ذلك الدعارة، استشهدت بالقبول المتزايد للدعارة ولو أنها عادة تكون غير علنية، يقول جويدة أنه لاتوجد كلمة مرادفة للمومسة في اللغة الكوردية لأن الدعارة كانت جداً نادرة بين الكورد، الكلمات العربية و التركية للمومسة هي المتداولة بين الكورد، اليوم وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي جاءت موجات من الفتيات من بلدان الاتحاد السوفيتي السابق وانتشرت الدعارة بشكل رهيب بحيث وصلت إلى ابعد القرى، في شمال العراق قتلت السلطات عدداً من النساء لامتهانهن مهنة الدعارة ولكن السلطات اليوم اكثر تساهلاً في هذا الموضوع وخاصة أن جمعيات حقوق الانسان الغربية تراقب حقوق المرأة بشكل دقيق.

- في الماضي كان الرجال والنساء ينبذون على حد سواء ويعاقبون بشدة لارتكابهم الزنا، اخبرني احد الاصدقاء الكورد أن الرجال اليوم يأخذون المحظيات جهاراً دون اي استهجان من مجتمعهم، القواعد الجنسية في تركيا لم تعد بالصرامة التي كانت عليها يوماً ما في السابق وأصبح للمال دوراً كبيراً في العلاقات الاجتماعية، راجت إشاعات أن بعض الاشخاص يقومون بتأجير زوجاتهم ولكن التحقق من صحة الخبر أمر صعب تزوج أحد اصدقائي وعروسته كانت من عائلة اعتادت على استقبال الزوار، قرر الزوجان السير على عادة اهل الزوجة في استقبال المعارف والاصدقاء اضطر الاثنان على التخلي عن هذه العادة لأن الجيران بدأوا ينشرون اشاعات مفادها أن الزوار يضاجعون الزوجة الجميلة الشابة لقاء مبالغ من المال، أحدى مساوئ كثرة الاطفال في المدن هو اضطرار بعض الاباء تحت وطأة الديون إلى دفع بناتهم إلى امتهان البغاء.

- في المجتمع الكوردي العائلة هي مسؤولة عن شرف وطهارة البنات. إن التباين بين التقاليد القديمة والجديدة كبير، في احدى المدن الكبيرة التي يبلغ عدد سكانها ١٠٠,٠٠٠ نسمه إدعى احد اصحاب المحلات التجارية بأن افراداً في شرطة المدينة أخبروه بأن هنالك عدد كبير من العائلات يستخدم الاباء زوجاتهم وبناتهم في تجارة الجنس.

الروسيات والقيم الاخلاقية

- بشكل عام النظرة إلى البغاء في تركيا نظرةٌ متساهلة وتوجد في كل مدينة كبيرة منطقة لتجارة الجنس وممارسته تحت اشراف السلطات ومنذ تفكك الاتحاد السوفيتي جاءت إلى تركيا افواج من النساء من هذه البلدان وخاصة من روسيا واوكرانيا وارمنيا وجورجيا واذربيجان وجولدوفا ورومانيا للعمل في تجارة البغاء واصبح العدد كبيراً في المدن بحيث لم استطع النزول في فندق خالٍ من المومسات اللاتي يزعجن النزلاء طوال الليل بالطرق على الأبواب لعرض بضاعتهن الجنسية.

هنالك قصص تروى عن آباء وابناء وقعوا في غرام مومسات معينة وتقاتلوا عليهن وأخرى عن رجال صرفوا كل نقودهم على المومسات وتركوا اطفالهم جياعاً وعن عائلات تفككت بسبب المومسات، في أحدى المدن التقيت بخمسة رجال اعترف اثنان منهم إنهم تركوا عائلاتهم و بدأوا العيش مع نساء روسيات. في ظل العادات الاجتماعية السائدة يكون صعباً على المرأة التركية الافصاح عن رغبتها إلى الجنس اوالتعبير عن النشوة الجنسية في عملية الجماع. اما مع النساء الروسيات فان الرجال يعاشروهن المرة تلو المرة وتعبر المرأة الروسية عن النشوة الجنسية بشكل صريح وتحقق للرجل رغباته الجنسية، في كثير من الحالات يقع الرجل في حب المومسة.

– في يوم قضيته مع رجال يبيعون ويشترون الاسماك ذهبنا إلى شاطئ إحدى البحيرات حيث يشترى الرجال السمك من الصيادين. البناية المجاورة للبحيرة كانت داراً للدعارة مزدحمة بنساء روسيات ولكن السلطات اغلقتها لعدم توفر الشروط الصحية فيها.

سألت احد الاشخاص حول كيفية وصول الناس إلى هذا المكان القاصي والطريق إليه غير مبلطة؟ أجاب الرجل أن الناس يأتون مهما كان بعيداً والطرق ردئية طالماً أن هنالك نساء وفي طريق عودتنا إلى المدينة أشار مرافقي إلى أبنية على امتداد الطريق يستطيع الرجال الحصول على الجنس مقابل مبالغ من المال، إن المبالغ التي تصرف على الدعارة وخاصة على الدعارة الوافدة من بلدان الاتحاد السوفيتي السابق قدرت بحوالي ٢,٦ بليون دولار، مثلُ المخدرات مثلُ الدعارة هي الاخرى في تزايد في تركيا.

الكورد يتعاطون تجارتها أو هم سماسرة للفاحشة وخاصة للنساء القادمات من روسيا الأمر الذي يعطينا انطباعاً بأنهم ابتعدوا كثيراً عن تقليد الرعي والفلاحة، ويعزي الكورد سبب تفشي الدعارة والتفسخ الاجتماعي إلى المدينة.

الشجاعة

– تقليدياً كان الكورد يقيمون تبعاً لمستوى الشجاعة التي يبدونها في ساحات القتال، في الوقت الذي لاتزال فيه الشجاعة تعتبر صفة محمودة في الرجال فان هنالك قصص حول شجاعة النساء اللاتي قاتلن ببسالة منقطعة النظير، في صفوف Pkk قاتلت المرأة إلى جانب الرجل ويمثل شجاعته غير أن Pkk بين كورد تركيا لاتتمتع بمثل هذا الاحترام الذي حظي به بيشمركة كورد العراق، قلما يعبر شخص بالاعجاب لـ Pkk بشكل علني بين الكورد، بشكل عام سواءً اكان السبب هو الخوف من السلطات أو عدم الرضا عن منهج Pkk وأيديولوجية الالحادية فان الدعم الشعبي الذي يحظى به هو أقل بكثير عن الدعم الكبير الذي حازهُ بيشمركة العراق.

استشهدت بشجاعة و بسالة كورد العراق الذين قاتلوا تحت قيادة مصطفى البارزاني. القصص هي جزء من الموروث الشعبي التي ينتقل من جيل إلى جيل بكل اعتزاز، ولكن السؤال هو هل ستستمر قصص الشجاعة إذا ما حظي كورد العراق قدراً من السلام ولم يعد لزاماً عليهم القتال ضد الاعداء؟ الخدمة العسكرية مطلوبة من الرجل في كل من العراق وتركيا، في تركيا على الكوردي مغادرة منطقته عند اداء الخدمة العسكرية. العودة بعد اداء الخدمة إلى القرية لاتكون مغرية بعد قضاء ١٨ شهراً في مدينة مثل اسطنبول بالاضافة إلى ذلك يتطور لدى الكثيرين من الكورد شعور بالهوية الوطنية المشتركة في الخدمة ويشعرون بشكل أقوى أنهم اصبحوا جزءً من الامة التركية يصاحبهم بعض هذا الشعور بعد تركهم الخدمة.

– في الجيش يتميز الكورد باعمالهم البطولية ومهاراتهم القتالية، انهم يبدون تفانياً كبيراً في مقاتلة Pkk وتمشيط المنطقة بحثاً عنهم، قد يكون الباعث هو اخلاص الكوردي في اداء الواجب الذي يناط به كما هو دأبه في كل عمل يقوم به.

– بما أن العسكرية والخدمة في الجيش مواضيع حساسة فانني أحجمت

الخوض فيها أو الاستفسار من الكورد عن تجربتهم فيها، حاولت كل جهدي أن لا أظهر بمظهر الصحفي الباحث عن خبر مثير لنشره، أخبرني عدد من الكورد عن الاضطراب النفسي الداخلي الذي يصيبهم عندما يسمعون المسؤولين الحكوميين وهم يتهجمون على الكورد ويصفونهم بالارهابيين رغم أن كثيرين لايؤيدون Pkk وكثيرون يريدون مقاتلتهم، و على الحكومة معالجة الظروف التي أدت إلى خلق Pkk.

قيم اخرى مهمة

يحترمون الغرباء ولكن لايحترمون الواحد منهم الاخر

- في كوردستان العراق كان فريق المهندسين الكورد في منظمتنا يعملون بكل جدٍ وتفانٍ، كان عليهم السفر لمدة ساعة للوصول إلى مخازن المنطقة وبعد ذلك كان عليهم السفر لعدة ساعات للوصول إلى القرى النائية في الجبال للاشراف على بناء الملاجئ والمدارس والطرق، كانت درجة الحرارة فوق ١٠٠ف واحياناً تصل ١٢٠ْف ولم يكن هنالك تكييف في سياراتنا علماً بأن لا أحد منه يستلم راتباً اكثر من ١٠٠دولار في الشهر، بدأت اسمع وشايات بحدوث غش في توزيع مواد البناء حيث إتهم كل مجموعة من المهندسين المجموعة الاخرى بالغش والتلاعب. اشتملت عمليات الغش التلاعب بكميات السمنت وخشب الحور ومواد البناء الاخرى حيث يباع الفائض في السوق السوداء. كما أن اللاجئين أتهموا المهندسين بعدم اعطائهم الكميات المخصصة لهم بشكل مضبوط، اضطررت والاسى يعصر قلبي على فصل عدد من خيرة المهندسين الذين كانوا من أشد الاصدقاء لي واخبرتهم بأني لا استطيع تحمل الاتهامات الموجهة لهم.

- وبعد سنوات زرت كوردستان ثانية، التقيت بعدد من المهندسين الذين فصلتهم استقبلوني بكل احترام وقدموا لي ضيافة سخية ونظموا لي عدة مقابلات مع الوجهاء (respi) لإكمال البحث الذي كنت اقوم به ومع ذلك شعرت بوجود حاجز بيننا. حاولت اخبارهم بأنني لازلت أشعر بالأسف لما حصل في الماضي وأسلوب معالجته، وقلت لهم بأني لأفهم سبب هذا التقاتل الداخلي

والوشاية، علمت بأن عدداً من المهندسين غضبوا عندما استأجرنا مهندسين من مدينة اخرى غير مدينتهم بدلاً من استئجار اقاربهم واصدقائهم الذين يعيشون معهم في المدينة التي فيها مخازن المنظمة، المشكلة الموقعية الجغرافية كانت ملأى بالمنافسات العشائرية والعائلية التي لم اكن على دراية بها في ذلك الوقت، واخبرني المهندسون أن جزءً من ثقافتهم وتقاليدهم هو قذف وتشويه سمعة الواحد الاخر و تحطيم من يتقدم عليهم وقالوا بأنه كان يفترض مني عدم الأخذ باتهامات القرويين بشكل جدي إعترفت بخطئي واعتذرت منهم.

لم يعترف أحد من المهندسين بالغش والتلاعب ولو أن أحدهم أخبرني على انفراد أن كل واحد منهم كان محقاً إلى درجة ما في أن يتلاعب ببعض الارقام لبيع بعض السمنت ومواد البناء الاخرى بسبب رواتبهم المتدنية بعد سماعي لهذه الامور شعرت بأنني كنت مبرراً لماقمت به من اجراءات، ومع أن الكورد عادة لا يظهرون الاحترام الواحد منهم للآخر فان التصرف مع الغريب أمر مغاير تماماً، أن هذه خاصية موجودة في كثير من الثقافات والمجتمعات وخاصة تلك التي كانت تحت هيمنة وسلطة ثقافات اخرى، إن حالة عدم الاحترام من قبل المضطهد تنتقل إلى المضطهدَ الذي يقوم بدورة بإزدراء بني قومه.

- اثناء إقامتي في الشرق الاوسط لم أجد فضيلة من الفضائل جديرة بالاحترام قولاً واقلها تطبيقاً من "الصدق". الذين ينطقون بالحق قليلون وسكان تركيا عندما يريدون إثبات حسن أخلاق أحد الاشخاص فانهم يرفقون كلامهم بجملة اعتراضية لاكذب فيما أقول.

- عبر احد الكورد العاملين في حقل السياحة عن خيبة أمله من محاولة العاملين فيها خداع السياح الاجانب، في الحقيقة إن الخداع والغش لايشمل السياحة فقط بل إنه يشمل كل الميادين.

تأسيساً لماتقدم فانه من الصعب أن تجد واحداً تستطيع أن تضع فيه ثقتك. الشاب الذي يتقاضى راتباً ضئيلاً ويقوم ببيع الطوابع يعزي عدم توفر الصدق والثقة إلى عوامل اقتصادية والتي بدأت بعد انتقال الناس إلى المدينة التي لاتوجد فيها التركيبة الاجتماعية القديمة بل تجد مكانها طلبات مالية متزايدة.

ان محاولة التثبت من دون وجود نظام مساند يدفع بالناس إلى إتباع أساليب الخداع والغش للحصول عليها بطرق غير نزيهة، وربما بسبب فقدان عامل الثقة المنتشر بين الناس في المدن فان الكورد شأنهم في ذلك شأن العرب والاتراك حيث يكثرون القسم بالله أثناء الحديث لجعل المقابل يثق بهم (bixadi) وكذلك القسم بالقرآن واحياناً ليس بقرآن واحد بل بألف قرآن (hizar Quran) وكلمة (wallahi) والتي تعني "بالله" منتشرة أثناء الحديث.

– الاجانب وخاصة هؤلاء القادمون من الغرب يعتبرون صادقين ومحل الثقة Ejnehi direw nakia وتعني العبارة أن الاجنبي لايكذب، وإن كان في مكان أخر يعتبر الاجنبي بدون خلق. أما كينغ فتؤكد على فقدان الثقة في المجتمع والشرق الاوسط عموماً.

النساء يشعرن بأنهن لايستطعن الوثوق بأحد حتى يتحدثن إليه بكامل حريتهن عن مكنونات قلوبهن، انهن يخبرن الاجنبي بسريرة نفوسهن وخاصة ما يتعلق بالاساءت الجنسية نصحني الاصدقاء بعدم وضع ثقتي في اي شخص شرق أوسطي ولاتوجد أسباب مقنعة لانتشار فقدان الثقة بين افراد مجتمع الشرق الاوسط.

– عندما كانت الزمالات تقدم إلى من يستحقها من كورد العراق للدراسة في جامعة هارفارد أرسل أحد المحامين الذي كان صديقاً لأحد العاملين في المنطقة قسائم التقديم بما فيها شهادات بالمؤهلات من موظفين اللامم المتحدة ولكنه لم يقبل، اعتقد هذا المحامي بأن علاقته معي من خلال صديق مشترك كافية لتزكية القبول في هارفارد حتى وإن كنت قد التقيت به مرة واحدة، لم استطع إقناع هذا الشخص بانني حتى لو كنت على معرفة طويلة معه لا أملك القوة ولا إرتباطات في هارفارد كي استطيع ادخاله في البرنامج الدراسي، إن مفهوم الصداقة الحميمة يعرف بـ (grivyati) بين الايزيديين، إذا أصبح أحدما (giriv) فان ذلك يعني صداقة هي اقرب إلى رابطة الدم، وكمثال على girivyali فانه عند أو قبل بلوغ سن الرشد تطلب العائلة من احد الاشخاص الذين يكنون لهم الاحترام بأن يختن الفتى في حجره هذه العملية تربطه بالعائلة وقد تدوم هذه

العلاقة لعدة أجيال ويشرح سويتنام نقطة غفل عنها المخبر الكوردي وبخصوصgirivyali إن علاقة girv هي شبيهة بالعلاقة العائلية والمرتبطون بها لايستطيعون الزواج بينهم، أن علاقة girivyali قد تحصل بين الايزيدي والمسلم أوالمسيحي عرباً أو كورداً فهي تتخطى الحدود الدينية والقومية ولكنها ليست ممارسة عامة بين جميع الكورد أنها محصورة بالطائفة الايزيدية ولاتمارس في كل المناطق بين الايزيديين انفسهم.

– اهم ميزة من ميزات girivyaliالاخلاص، إذا كان لدى أحد من عائلة giriv طلباً من اي نوع فالمفروض أن يلبي giriv هذا الطلب، إذا قام أحد مثلاً بقتل واحد من عائلة giriv فان على الطرف الثاني الانتقام له والوقوف إلى جانبه حتى وإن كان المقتول على باطل، إن girivgali دعوة لصداقة غير مشروطة ومثلها مثل رابطة الدم في العائلة، غير ان هذه العادة بدأت بالزوال ويستطيع giriv أن يرفض مساعدة العائلة إذا كانت على باطل أو إذا لم يقتنع بوجاهة الطلب المقدم إليه.

النظرة إلى العمل

يقول المثل الكوردي Heta kefa deste resh nelait

tama devi xush nabit

ومعناه إذا لم يسود كف الشخص فان فمه لن يحس بلذة الطعام. سبق لي وأن استشهدت بهذا المثل والآن اقوم بتوضيحه بعدد من القصص، في يوم من الايام وصلت سيارة محملة بمواد البناء وتطلب الأمر تفريغها من حمولتها وصادف أن العمال كانوا منشغلين بالعمل في منطقة أخرى، كنت أنا مدير المنظمة، رغم رغبتي في العمل اليدوي الصعب فان المهندسين الكورد كانوا دوماً يقفون بيني وبين ذلك ولكنني في هذه المرة أصررت اصراراً على القيام بتفريغ السيارة بنفسي، تردد المهندسون في البداية ولكنهم في اخر الأمر نزلوا من بروجهم العاجية وشاركوني العمل في تفريغ السيارة، لم يكن المهندسون راغبين في القيام بعمل العمال وهم خريجو كليات الهندسة وينحدرون من عوائل

مشهورة لايفترض بهم توسيخ ايديهم بالعمل طرق سمعي نقاشهم حول موقف العمال منهم عندما يسمعون بالخبر، هذا المثل يتناقض مع المثل الكوردي الذي اوردناه الذي يمجد العمل، الكورد معجبون بالعمل الجاد ويستعملون التعبير ew galek zireke ولكن تركيبة مجتمعهم تقرر اي نوع من العمل ينفذ من قبل كل شريحة اجتماعية.

في تركيا مررت بتجربة مشابهة بعض الشيء عندما كنت أقيم في قرية كوردية مع عائلة باشرت باضافة طابق ثان إلى الدار بالنقود التي وفرتها من محصول الفستق، صادف وأن زرتهم وهم في منتصف العمل، قال المتعهد أنه لايستطيع تأجيل العمل لأن زبائن اخرين ينتظرونه، وهكذا اخبرني مضيفي على استحياء بأن عليه الاستمرار في العمل في اخر يوم من زيارتي، أخبرته بأنني أكون سعيداً في أن اقدم مساعدتي شخصياً، إحتار الرجل لسماع هذا العرض ولكنني أصررت وقضيت كامل النهار أهيىء الجدران الكونكريتية كان افراد العائلة يوقفونني كل بضع دقائق و يطلبون مني التوقف عن العمل، تم جاء الزوار من اهل القرية ليشاهدوا أمريكياً وهو يصقل الجدران السمنتية لبيت رجل كوردي وأعتبروه حادثه فريدة.

- حاولت أن اشرح لأصدقائي بأن ليس في امريكا مستويات للعمل كما هي الحال مع الشرق الاوسط واوضحت لهم أن كثيرين من المثقفين يحبون أن يؤدوا الاعمال اليدوية وأن يجروا الترميمات على بيوتهم ويبنوا الدور للمحتاجين.

إن المرضات اللاتي يتمتعن بسمعة عالية في العالم الغربي لايحظين بنفس الاحترام في الشرق الاوسط لأن الناس يعتبرون مهنة التمريض مهنة منحطة وغير محترمة. إن ما فعلت مع صديقي كان خدمة اشعرتني بالراحة و حاولت اقناعهم بان مثل هذا العمل لايقلل من قيمتي أنهم ينظرون إلى الاعمال بشكل يختلف عن نظرة الامريكيين لها.

السياحة والكورد

آلاف من الكورد في تركيا يتقاطرون على المناطق السياحية عند بحر ايجة

والمتوسط و على اسطنبول بحثاً عن العمل في مواسم الاصطياف ويتعرفون على نمط جديد من الحياة يجعل من الصعب عليهم الرجوع إلى بساطة الحياة القروية، الكورد في المطاعم والفنادق يشرحون اسباب استئجارهم من قبل اصحاب العمل، انهم يقبلون العمل بأجور اقل من الترك ولأنهم لديهم قابلية كبيرة لتعلم اللغات بشكل جيد وهم يتميزون بصفة التودد والتقرب من الناس والتعود عليهم بسرعة لأن لديهم روحية جيدة ونفسية طيبة.

القيم الدينية

- تركيا البلد المحافظ دينياً يحاول جاهداً ايجاد توازن بين الحداثة و الدولة العلمانية التي تكون على النمط الاوربي من دون أن يفقد اصالته وارثه الاسلامي، تبنى نمط الدين الخاص به، استشهد ما نفو بالاحصائيات الاتية والمستقاة من استطلاع للرأي أجري في ١٩٩٩ من قبل مؤسسة اجتماعية وجد أن ٩٢٪ من السكان يتمسك بفريضة الصيام ، ٤٦٪ حافظوا على الصلوات الخمس و ٦٢٪ حضروا صلاة الجمعة و ٦٨٪ قدموا الأضاحي في عيد الاضحى و ٧٪ ادوا فريضة الحج و ٧١٪ ينوي الذهاب إلى مكة في يوم ما، ولكن ٢١٪ يريدون تطبيق الشريعة الاسلامية ومعظمهم يجهلون جوهر الدين، لو قدر لأتاتورك أن يُبعث من قبره فأنه سيصيب بالصدمة عندما يجد الناس لايزالون يؤدون الطقوس الدينيه بعد أن حاول كل قواه جعل بلاده علمانية.

ولكنه سيعود إلى قبره مع بعض الراحة والاطمئنان عندما يجد أن معظم السكان يريدون نمطهم الخاص للسلام ولايريدون النموذج الايراني أو نموذج العربية السعودية اللذان يهيمنان على كل صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة وعلى مفاصل الحياة كلها.

- في قرية نائية واقعة في جبال جنوب شرق تركيا وأثناء أشهر الشتاء الطويلة عندما تكون القرية شبه مدفونة بالثلوج، الرجال يتجمعون في بيت من البيوت ويناقشون الدين والمواضيع الاخرى إلى ساعة متاخرة من ليلتهم، أحد الرجال والذي كان في السابق مدمناً على الخمر وزيراً للنساء وكانت له علاقة

بالمافيا مرّ بتجربة تحولية وأصبح مسلماً ورعاً وتقياً يناقش القرآن ويتحدث به، وحتى أنه بدأ يطلب من اصحاب الفنادق التي تقدم التسلية للسياح بغلق الحانات لأن شرب الخمر مخالف للدين، ويحثهم ايضاً على عدم تأجير الغرف لرجل وامرأة غير متزوجان وعلى إلغاء كل ممارسة غير اسلامية.

وقال أخر وهو يستعيد ذكريات الماضي في القرية قبل قدومه إلى المدينة أنه وخلال ١١ شهراً كانت نقاشات القرية تدور حول الاحداث الدولية، وفي شهر رمضان فان القرآن والدين كان هما فحوى الحديث، وبأسلوب ساخر علق على ذلك أنه في ١١ شهراً كان الناس للشيطان ولمدة شهر لله، (الكورد معروف عنهم بتمسكهم بالدين الاسلامي قبل رمضان وأثناء رمضان وبعد رمضان) المترجم.

الدين الواطئ والدين العالي

الدين الواطيء وغالباً ما كان يُعرف بدينً العامةً هو مستوى من الاعتقاد يركز على استغلال القوى الروحية لمساعدة أولئك الذين يقرون بأن لاطاقة لهم في التغلب على صعوبات الحياة، الدين الواطئ هو العملي ويعالج الهموم الدنيوية مثل العقم والمصاعب المالية و الحماية من القوى الشريرة، أما الدين العاليً فهو مخالف للواطيء إنه يتعامل مع المسائل الاخلاقية والفلسفية المتعلقة بالحياة بما في ذلك مسائل أصل نشوء الانسان والغاية من وجوده على الارض ومصيره بعد الموت.

الكورد يتخطون الحدود الدينية عندما تكون القوى المحركة للحياة ضدهم، يقول قس أرثدوكسي تعرفت عليه منذ زمن بعيد أن النساء المسلمات الكورديات يأتين اليه بين حين وآخر يسألنه عمل تعاويذ تحتوي على أيات من الانجيل ثم يذهبن إلى رجل دين مسلم لعمل تعاويذ اخرى تحتوي على أيات قرآنية.

المسائل اللاهوتية التي تباعد بين المسيحيين والمسلمين لاتعني الكثير إلى هؤلاء النسوة أن لديهن مسائل هي اكثر برغماتيكية (عملية) وهي حمايتهن وأولادهن من الارواح الشريرة ومن اللعنة مثل العقم ومرض طفل او رغبة زوج في الزواج من امرآة ثانية، شيء يُشبهُ بيد فاطمة بنت الرسول يوضع في البيوت

وفي اماكن العمل كحجاب يدرأ الشر، وحجاب رمزي آخر هو خرزات زرقاء تخيط على ملابس الاطفال حماية لهم من العين الحاسدة الشريرة، الاباء والامهات يخشون من أن يقوم الحاسد بنفث اللعنة في الطفل عندما يكون المولود ذكراً.

وبما أن الذكور مرغوبون اكثر من الاناث عند الكورد فان هذا يدفع ببعض العائلات إلى إلباس الطفل بشكل لا يجلب إليه الانتباه كأن يُلبس ملابس البنات باعتبار البنت ليست هدفاً للعين الحاسدة.

واحياناً تلجأ الامهات إلى توسيخ وجه الطفل لصرف الانظار عنه ودرءاً للعين الحاسدة بهذه الوسيلة وفي تركيا يلبس كل طفل خرزة زرقاء في مفاتيح سياراتهم، الاباء والامهات يحمون اولادهم من اللعنه عند اطرائهم أومدحهم من قبل أحد بالقول "ماشاء الله".

- يستشهد جويدة بوقوف الكورد منتبهين فوق المولود الجديد وخاصة إذا كان ذكراً خوفاً من هجوم روح شريرة على الطفل وخاصة إذا كان الحسد آتياً من امرأة عقيمة، في بعض الحالات تستعمل قطعة من القماش باركها شيخ كحجاب لدرء اللعنة.

- يؤكد جويدة على اهمية الشيوخ. في اغلب الحالات كان زعماء الثورات الكوردية من الشيوخ مثل الشيخ سعيد ١٩٢٥ في تركيا كان الشيوخ يمتلكون السلطة الدينية والدنيوية وكانت لهم شخصيات تجمع الناس حولهم وتجعلهم في غاية القوة. جويدة يقتبس آية من الكتاب المقدس تقول "ليس لنبي تقدير في بلده" ويشير بذلك إلى أن الشيوخ بشكل عام كانوا من خارج العشيرة وليسوا من افرادها. عندما يكتسب الشيخ الشهرة لورعه واعماله الجيدة قد يقوم بعقد رابطه زواج مع رئيس عشيرة، وعندما يزداد الشيخ قوة وشهرة فانه يحاول مساعدة ابنائه من الزواج من عائلات مشهورة وبذلك يزداد نفوذاً.

- يقول جويدة أن الكوردي معتدل دينياً ولكن يمكن أن يدفع به إلى التعصب والتزمت إذا ما تأثر بأحد الشيوخ وخاصة إذا كان في الأمر شيءٌ من المعجزة

والكرامات، هنالك قصص عن شيوخ أخترقت طلقات اجسامهم ولم تسبب لهم أذى ولكنها قتلت اشخاصاً كانوا وراءَهم. كان هنالك شيوخ يفهمون لغات لم يتعلموها من قبل وبما أن كثيراً من هؤلاء الشيوخ اعادوا بانسابهم إلى النبي فانهم كان ينظر اليهم كصانعي المعجزات وعندهم البركات، ولكن عندما تذبل الشخصية الساحرة الجذابة له فان نفوذه يبدأ بالتلاشي بسرعة.

– أن التناقض بين الدين العملي (الواطئ) "والعالي" الذي يهتم بأمور الخلق والحياة ما بعد الممات ترسخ بشكل اكبر في ذهني عندما قمت بزيارة إلى مسجد مشهور في اسطنبول، في فترة صلاة الجمعة كان هنالك نحو ١٠٠٠ مصلي يؤدون الطقوس من الدين العالي وهو الصلاة ولكن عند ضريح أحد المشايخ الذي مات من زمن بعيد، بجوار المسجد كان معظم الزوار من النساء، تتناول النساء الماء المبارك من داخل الضريح وعند أقدام صاحب القبر وهن يقدمن الصلوات ويرفعن الدعوات، وتعتقد النساء بأن صاحب الضريح سيحل مشاكلهن ويخرجهن من كروبهن. هذا مثل للدين الواطئ.

– غير أن هذا لا يعني أن النساء لايمارسن الدين العالي أبداً بل انهن النساء يؤدين احياناً الدين العالي كمجموعات، ويتدارسن القرآن مع معلمة قد يؤدين الرجال والنساء صلاة جماعية ولكن النساء عادة يقفن وراء الرجال في بعض الطرق الاسلامية هنالك حرية اكبر في الاختلاط وظهرت نساء عابدات متصوفات في هذه الطرق بين العلويين في تركيا وهنالك مشاركة اكبر من قبل النساء في ادارة طقوس الدين إلى درجه يدفع ببعض السنة إلى إتهام العلويين بالكفر، لاسباب اجتماعية وثقافية واقتصادية وروحيه تشعر المرأة بحاجتها إلى الدين العملي (الواطئ) الذي يعالج حاجاتها الخاصة وليس إلى الدين العالي المطلق الذي يتناول اموراً لاهوتية وفلسفية بشكل أكبر من الدين العملي.

– لاشيء اكثر اثارة ومدعاة للخوف لدى المرأة من عدم قدرتها على انجاب ابن تقدمه هدية إلى زوجها، كثيرات هن النسوة اللاتي تزرن الضرائح لطلب المساعدة من اصحاب هذه القبور من الصالحين أو يذهبن إلى رجال صالحين اتقياء احياء لكونهن غير قادرات على الانجاب، ليس مهماً أن يكون صاحب

الضريح ذكراً أم انثى حياً أو ميتاً مسلماً أونصرانياً. المهم في الامر هو قوة وتأثير صاحب المرقد وهل أن طلبات النسوة قوبلت بشفاعة وبركة الرجل القديس.

- بالاضافة إلى ما ذكرناه فالنساء يخشين من هجر ازواجهن لهن أو الزواج من اخرى.

- في الوقت الذي تكون المرأة عادة صبورة على قيام زوجها بزيارة أماكن اللهو وخاصة عندما تكون هي في وضع الحمل أو مريضة فان الخوف من فقدان الزوج نهائياً هو أخطر من قيامه بعمل مثل هذه في تركيا تقوم زوجات احياناً بوضع قطرات من بولهن في قدح شاي الازواج لإعتقادهن أن شرب بولهن من قبل الرجل يربطهم بهن بشكل سحري وجنوني ويمنعهم من هجرهن والذهاب إلى اخريات.

- لغرض فهم معرفة المسلمين العاديين بما فيهم الكورد يجب على المرأة ادراك أن هناك ايمان بالقدر المكتوب وفي نفس الوقت يمكن استخدام كل وسيلة ممكنه لتغيير قسمة ونصيب الفرد، الاسلام العالي يعني الخضوع لارادة الله، ولكن الدين الواطيء هو استغلال ماهو مقدر ومكتوب من اجل تغييره. الخضوع والاستسلام لما هو مقدر مسبقاً للشخص سيمنح نوعاً من الطمأنينة والهدوء والصبر تجاه اعباء الحياة، ولكن من جهة أخرى يمكن أن يؤدي الانصياع والاستسلام للقدر المكتوب إلى السلبية والاتكالية وعدم بذل محاولات يمكن أن تساهم في تحسين حياة الشخص أو العمل من اجل تطوير المجتمع.

- لازال هنالك جدل إن كان التمدن قوة علمانية، بدون الضغط الاجتماعي الريفي فان سكان المدن قد لايمارسون المناسك الاسلامية بشكل جيد وصحيح، أن ممارسة الدين الواطئ لاتزال مستمرة في المدن، تكمن في الضغط الاجتماعي وليس الاقتناع الديني الذي يجعل الناس يتوجهون إلى المساجد يبدون بمظهر المتمسك بصوم شهر رمضان وإن كانوا يفطرون في الخفاء بعيداً عن انظار العالم إن نسبة ضئيلة من الناس ستنقطع عن الدين الحقيقي المنظم مثلما فعل PKK واخرون من أعضاء التنظيمات اليسارية والراديكالية،

اخرون علمانيون في سلوكهم قد يحضرون الجوامع ايام الاعياد وفي مناسبات اخرى، في ظل تأثيرات التمدن المتزايدة على الممارسات والطقوس الدينية أصبح البعض اكثر ورعاً حتى يجدوا الطمأنينة النفسية في عالم سريع التغير وفي ظل ضغوطات الحياة المتزايدة وأخرون اصبحوا اقل تقوى. أن المقدر المكتوب للكثيرين من الكورد يبدو غير مقبول لديهم وكفاحهم لتغيير ما قدر لهم سوف يستمر.

الفصل السابع

المدنية وتبدل الثقافة

- في بريطانيا أولاً وبعدها في اماكن أخرى كان التصنيع يفي تحول المجتمع والافراد من النشاط الزراعي إلى النشاط الصناعي الأمر الذي اعطى قوة دافعة للتمدن والحركة الاجتماعية ودوراً جديداً للعائلة وتحولاً ديموغرافياً وتخصصاً في العمل.

- استخدم الباحث الاجتماعي الالماني فيرديناند تونيس Taanies كلمتين لوصف أنوا ع المجتمعات هما: .gemeinschaft غيماينشفت التي تعني مجتمعات ماقيل الثورة الصناعية وهي تمتاز بعلاقات قرابة وعشائرية قوية وتتصف بتجانس ثقافتها وقوة تآلفها وهي تحمل روحاً تعاونية وتعلقاً كبيراً بالمكان وبالوضع الاجتماعي الذي كان قد ألفه منذ الولادة، أما الصنف الثاني فقد سماه gesellschaft غيزلشافت وهو حضري غير متجانس وتنافسي، إن الثقافة الكوردية الريفية التي وجدت لقرون في كوردستان تركيا والعراق تنتمي إلى النوع الاول، ولكن وبما أن الكورد يمرون بمرحلة التحضر فان مجتمعاتهم تبدو عليه ملامح الصنف الثاني ايضاً.

- قد يحدث هنالك نوع من التشابك بين هذين الصنفين من المجتمعات عندما ينتقل الناس من النمط السائد قبل التصنيع والذي عادة يوجد في البيئات الريفية إلى النمط الصناعي والمدني أما جوزيني غوسفيلد فانه يذكر سبع فروقات عن المجتمعات التقليدية الريفية والمدنية (١) المجتمعات التقليدية هي مستقرة: (٢) الثقافة التقليدية مكونة من حكمة متماسكة ومعتقدات ثابتة. (٣) المجتمعات التقليدية مبنية على تركيبة اجتماعية متجانسة (٤) عندما يحدث

التغير فان المجتمع المدني يحل محل المجتمع التقليدي. (٥) المجتمعات التقليدية والمدنية في صراع مستمر(٦) الاثنان منعزلان الواحد عن الاخر. (٧) التمدن يضعف المجتمع التقليدي.

وحسب رأي غوسفيلد فان كلا الصنفين ليسا بالاختلاف الكبير، فمثلاً المجتمع الكوردي التقليدي ليس مجتمعاً مستقراً بشكل مطلق، في أصغر القرى يجد الواحد منا اشخاصاً عاشوا في المدن أو في الخارج جلب هؤلاء معهم احدث التكنولوجيا الحديثة إلى القرية وهم يناقشون الاحداث الدولية مع سكان القرية، رعاة الغنم والفلاحون يستخدمون التلفون الخلوي، إن الذين انتقلوا إلى المدينة لم يصبحوا بشكل أوتوماتيكي وبين عشية وضحاها اناساً مدنيين لا صلة لهم بالقرية، انهم في المدينة بأجسامهم ولكنهم ذهنياً موجودون في القرية.

– للحياة المدنية أوجه دفع وسحب إن ضغط الفقر والفاقة والبطالة ومعها القيود الاجتماعية المفروضه على الحرية كلها دفع بملايين الناس في شتى انحاء العالم إلى الانتقال إلى المدينة إن فرص العمل ووجود التلفزيون ونمط الحياة المثير الموجودة في المدينة جعلت مئات الالوف من الكورد يتوجهون إلى المدن مثل اسطنبول وغيرها.

الكورد المشردون

– رغم وجود تشابهات كثيرة بين المجتمعات التقليدية والمدينة فأنه وبدون إي شك أدت قوى المدينة والتغيير إلى حدوث تغييرات كبيرة في حياة مئات الملايين من بني البشر خلال السنوات الاخيرة ومن ضمن هؤلاء الكورد، وكمثال على حجم التحول البشري من الريفي إلى الحضري هو حقيقة ما يحدث الان في اسطنبول التي هي بعيدة عن مواطن الكورد التقليدية ولكنها تحوي كورداً اكثر من أية مدينة كوردية في كوردستان نفسها.

– هنالك قرى في كوردستان تركيا والعراق في غاية الروعة والجمال على سفوح الجبال وهنالك حقول خصبة للزراعة في اسفل هذه الجبال وجداول ماء رقراق تجري داخل القرى ولكن قلة قليلة من الناس يعيشون فيها اليوم والذين

يسكنون فيها في غالبيتهم من المسنين انتقل الشبان إلى المدن او هاجروا إلى الخارج بشكل نهائي، في احدى القرى الجبلية التقيت برجل له (١٠) قال لي:

ترك الجميع القرية باستثناء ابن واحد يتولى رعاية أطفال العائلة وعدد رؤوس من الاغنام. الاخرون منهم يعملون جميعاً في اسطنبول، و تقول عائلة اخرى أنه من مجموع ٩ اولاد بقي واحد فقط منهم في القرية، وتكرر لقائي بهذا النمط من العوائل المرة تلو المرة في كل زياراتي للمنطقة.

- في العراق ينتقل عدد كبير من الناس إلى المدن التي هي تحت الادارة الكوردية ولها علاقة بالقرية الكوردية، هؤلاء النازحون يستطيعون الوصول إلى قراهم في أي وقت يشاؤون ورغم وجود نحو مليون كوردي في بغداد ومدن اخرى خارج كوردستان ليست تحت الادارة الكوردية فانه لم يكن بمقدوري الوصول اليهم واخذ الملاحظات عن هذه الاماكن والتركيز على الظاهرة كما فعلت في اسطنبول ومدن تركية اخرى.

- في كثير من المناطق الجبلية التي تأثرت بالصراع بين القوات التركية وعناصر Pkk في الثمانينيات والتسعينيات منعت الحكومة عمليات الرعي فيها.

- إن الاقتصاد الحيواني الذي كان مصدراً للرزق لقرون عديدة قد أختفى كلياً من بعض المناطق وأضطر سكانها إلى ترك قراهم بالاضافة إلى ذلك تم تدمير ٣٠٠٠ قرية أثناء العمليات التي قامت بها الحكومة ضدPKK وكان على سكانها النزوح إلى المدن وطبقاً لما جاء في تقرير من منظمة حقوق الانسان في ٢٠٠٦ فان معظم السكان القرويين البالغ عددهم ٣٧٨,٣٣٥ نسمة لم يستطيعوا العودة إلى قراهم في جنوب شرق تركيا لعدم وجود الكهرباء والخدمات والمدارس أو لأنهم استقروا بعد أن وجدوا عملاً في المدينة وهم لايرغبون في التضحية به بعد أن حصلوا عليه، ابلغني أحدهم وهو يبع اقداح الشاي على ساحل البحر في اسطنبول بأنه لايريد البقاء هناك ولكن ليس باليد من حيلة قال إنه يحب قريته وان عائلته لاتزال تعيش فيها.

- ويفترض أن تقوم الدولة بتعويض المشردين بسبب الصراع في كوردستان

ولكن حالات التعويض غير متساوية وغير عادلة حيث استلم البعض في حين بقي اخرون محرومين.

بالنسبة إلى الكثيرين من الكورد، التكيف مع حياة المدينة امر صعب بعد أن أبعدوا عن قراهم الجميلة العزيزة على قلوبهم والبيئة التي تربوا فيها، المدن اصبحت مكتظة باناس يبيتون في اكواخ أو شقق، المقاهي مزدحمة بروادها العاطلين عن العمل وهم يلعبون لعبة الطاولة اوالورق او الدومينو وهم يدخنون ويشربون اقداحاً من الشاي، هناك أخرون عند منعطف الشارع ينتظرون من يستأجرهم، وهناك اخرون يدفعون عربات ويقطعون الشوارع جيئة وذهاباً وهم يبيعون على عرباتهم كل ماتقع عليه ايديهم من سقط المتاع.

- في المدن التركية حيث الناس في بحث مستمر عن وسيلة للرزق يبقيهم على قيد الحياة، البالغون يستقلون القطارات والعبّارات ويحاولون بيع أشياء صغيرة مثل الخواتم والاقراط والاساور، هنالك أشخاص يبيعون الشاي للجالسين على المصاطب وهنالك اشخاص يدفعون عربات ذات اربع عجلات ثقيلة يحملون فوقها الفواكه والخضروات. الاطفال يذهبون إلى العمل في سن مبكرة والشوارع مزدحمة بهم يصبغون الاحذية او يبيعون بضائع خفيفه والمعامل تستخدم فتياناً هم دون سن الرشد:

- كثيرون ممن نزحوا استقروا في استنبول، شاهدت عدداً من الكورد النازحين وهم يحاولون بيع السجاد إلى السياح أو يعملون طهاة وحلاقين وسواق سيارات الأجرة ويبعيون حب عباد الشمس وغيرها.

- قضيت بعض الوقت وأنا اكتب الملاحظات واتحدث إلى قاطني ميدان باغجلر التي حي مي من احياء اسطنبول الاشد ازدحاماً بالسكان وفيه اعداد كبيرة من الكورد ٥٠٪ من سكانها قدموا من شرق وجنوب شرق تركيا ونسبة ٣٣٪ منهم جاءوا من منطقة البحر الاسود التي وإن كانت غير كوردية الا انها فقيرة ومتأخرة، لاحظ مانفو أن اعلى شهادة في ٦٦٪ من العائلات هي الابتدائية وأن ١٨٪ من اطفال هذه العائلات لم يسجلوا في المدارس وأن ٢٠٪ من العائلات فقدت رضيعاً و ٢٠٪ من الاطفال يعانون من إعاقة جسدية ويقول

مانفو أنه لاتوجد بين هذه العائلات أنثى اكملت دراستها الجامعية.

– رغم قلة التعليم والحياة البائسة لسكان باغجلر فان الحي يحوي مقاهي كثيرة للانترنيت والمطاعم وداراً لعرض الافلام الأمريكية، أن اغجلر تملك وسائل إخفاء فقرها.

– إن غير المطلعين على أحوال الحي سيتجول فيها من دون أن يشعر بمشاكله الاجتماعية التي يذكرها مانفو، شاهدت الالوف من الناس يتمشون وايديهم متشابكة وعوائل وهي تقطع الشوارع جيئةً وذهاباً، زي النساء تباين بين العباءة التي تغطي الجسم من الكتفين إلى القدمين وبين اللبس الشفاف و قال أحد من استطلعت رأيه أن النساء عند قدومهن لأول مرة إلى المدينة فانهن محتشمات ومحافظات في ملبسهن ولكن بعد مضي سنة على مجيئهن يبدأن بلبس الحجاب والثوب العادي وفي السنة الثانية يرمين حجابهن ويلبسن البنطلون الضيق والقميص.

الحياة بدون شك صعبة في المدينة ولكن الناس يبدأون شيئاً فشيئاً بالتكيف مع الحياة فيها ويجدون نظماً للاعالة.

بعد أن قضيت بعض الوقت مع زوجين بأسمين مستعارين هما عبدالله وناريجان بدأت أتساءل عن قوة الترابط بين الناس، ربما هنالك تغرب وشعور بالوحشة الزوجان ينتميان إلى قرية في شرق تركيا محاطة بغابات جميلة وجدول ماء، في وقت من الاوقات كانت تربية الحيوانات مصدر الدخل في القرية ولكن الحكومة منعت الرعي للسيطرة على المنطقة، القتال مع Pkk جعل من الصعب بقاء المعلمين في الريف ذهب عبدالله إلى المدرسة ولكن في سنته الثانية فيها أغلقت المدرسة لعدم وجود معلمين، وبعد سنوات في الدوام و الانقطاع اكمل عبدالله دراسته الابتدائية ولكنه لم يتمكن من الذهاب إلى المتوسطة في مدينة بعيدة عن قريته.

– فرص العمل في القرية اصبحت نادرة، ومما زاد الطين بلّه أن ناريجان وقعت مريضة واحتاجت إلى عناية طبية وأقرب مستشفى هو على بعد ساعات

من القرية وكان على ناريجان مراجعة الطبيب مرة كل اسبوع أن عدم توفرالعلاج في القرية وعدم وجود فرص للعمل فيها دفعا بعبدالله إلى الانتقال مع ناريجان إلى اسطنبول استأجر شقة في باغجلر وتعلم قليلاً من الانكليزية ليبيع بعض المواد التذكارية إلى السياح في دكان صغير في منطقة سلطان أحمد التي هي مركز السياحة في المدينة يعمل عبدالله سبعة أيام من الثامنة صباحاً إلى العاشرة مساءً وبوارد زهيد لايغني ولايسمن العمل لساعات طوال وبأجر زهيد أمر مألوف في القطاع الخاص، ولكن الذي اثار فيّ الدهشة هو عزلة الزوجين وعدم معرفتهم بثقافة المدينة، عليهم أن يتكّيفوا مع حياة المدينة حيث العلاقات الاجتماعية والجنسية الاكثر تحرراً ومع حركة الحياة السريعة والمستمرة والشعور بالوحدة كنت اتوقع أنهما سيستقبلان سيلاً عرمرماً من الزوار من افراد العائلة واخرين من المعارف من منطقتهم الريفية، من عادة النساء التنقل من بيت إلى بيت ومساعدة الواحدة للاخرى في العمل المنزلي ويتسامرن عندما لايكون الازواج في البيت، أخبرني عبدالله بأن اقرباءهم لايقومون لزيارتهم لطول السفر و تكاليفه، لعبدالله و زوجته علاقات اجتماعية ضعيفة مع من يعرفونهم في المدينة، ناريجان بشكل خاص تعاني من الوحدة لقضائها ساعات طوال مع طفلتيها وهي لاتتحدث مع احد عندما أقترحت عليها أن تجد لها صديقات في جمعية المتطوعين والمتطوعات التي تخدم أولئك الذين يقدمون من مناطق مثل منطقتها قالت أن الجمعية هي تحت إدارة الرجال وانها لن تشعر بالارتياح فيها، بدأت أتساءل كم اناساً اخرين انتقلوا عن بيئتهم الطبيعية ويعيشون حياة الوحدة والغربة.؟ كم عدد هؤلاء الذين يقبعون في شقق وضيعة مثل شقة عبدالله ويحلمون بحياة القرية التي اصبحت بعيدة عنهم؟.

مجتمعات تصورية في مناطق حضرية

– في اماكن مثل باغجلر في اسطنبول لاحضت مايسميه اندرسون بالمجتمعات الموجودة في المخّيلة ويعنى بها إحساس الشخص بالوعي القومي الذي يربط بينهم على أسس من الشراكة العامة، هذه الشراكة توجد أمماً لم تكن موجودة، المجتمعات هذه تمّيز نفسها حسب النمط الذي جرى تصورها فيه،

ماهي الانماط الاجتماعية التي تطفح على السطح في المناطق الحضرية البعيدة عن موطن الكورد في المناطق الجبلية؟

- عندما كنت اجرى بحثي الميداني في باغجلر كنت اذهب إلى البيوت لمراقبة حياة الناس اليومية، كنت أحاول معرفة إي نمط من المجتمعات التصورية موجود وكيف يتأقلم الكورد النازحون مع الحياة في حيّهم المزدحم ومع التغيير الذي حصل بعد إنتقالهم من حياة القرية الرتيبة والشبكات الاجتماعية التي عملت لقرون من الزمن.

- الكورد عند انتقالهم إلى اسطنبول يحاولون بشكل عام العيش على مقربة من المعارف الذين هم من مناطق سكناهم الاصلية في الريف علماً بأنه ليس من السهل دائماً ايجاد المسكن بسبب الازدحام وعدم توفر المساكن لذوي الدخل الواطيء.

تشير احدى الدراسات أن ٧٦٪ من المهاجرين الكورد لهم أقرباء يعيشون في نفس الحي وأن ٢/٣ منهم يتزاورون فيما بينهم مرة على الاقل في الاسبوع الامر الذي يجعل من حالة عبدالله وزوجته امراً غير مألوفاً بين المهاجرين.

- في المدينة يصعب تجنب الاحتكاك بالغرباء ولكن المقهى الذي يزوره والمخزن الذي يشتري حاجياته منه والمطعم الذي يتناول فيه وجباته جميعها مرتبط بجغرافية المنطقة التي نزح منها، بعد العمل يلتقي الرجال بالاخرين من مناطقهم إنهم يحبون حياتهم مثلما كانت في القرية ولكن بمرور الايام فان للمدينة قوتها وسحرها لتغيير الناس خارجياً من حيث المظهر والملبس وداخلياً من حيث نظرتهم إلى الامور والقيم.

- أخبرني أحد المسنين في قرية كوردية في شرق تركيا أنه في قريته اذا ارتكب أحد افرادها عملاً مشيناً فالامر يبدو كما لو أن جميع أهل القرية مشتركون في الذنب الكل يشعر بالاهانة وعلى الجميع تقع مسؤولية معالجة المشكلة، اخبرني رجل قروي يسكن في اسطنبول أنه في الماضي كان يحافظ على الشرف من قبل جميع أفراد العائلة والذي يرتكب إثماً يلقى العقاب المناسب من قبل الاهل، القيل والقال لم يكن محموداً و كان الجميع يخشون من الالسن،

على الجميع توخي الحذر والحيطة في كل تصرفاتهم حتى لايجلبوا العار للعائلة، اليوم في المدينة حلت سيطرة الدولة محل السيطرة الاجتماعية التقليدية والشرطة تتدخل عند انتهاك قانون من القوانين.

– متى ما وجد التمدن تغير نمط حياة العائلة والمجتمع الصناعي يؤدي إلى ضعف الروابط العائلية في المدينة و يخف النظام الابوي في تنظيم الزواج بين الاقرباء وبتغيير نمط وطبيعة السكن العائلي وعدم قيام الافراد بالاساليب التقليدية مثل الزراعة وتربية الحيوانات، في الوقت الذي يحتفظ الاباء ببعض نفوذهم فان الاولاد وخاصة البنات منهم لايكونون مطيعين لاوامر الاباء و الامهات كما كانوا في القرية، تطبيق القوانين يمنع قتل البنت غسلاً للعار ويمنع الزواج الاجباري وتعدد الزوجات، تستطيع المرأة اللجوء إلى الطلاق بسهولة ولم يعد الامر مشيناً كما كان في الماضي. البنات اليوم يتزوجن في سن متأخرة وعلى الاغلب بعد انهاء الدراسة الثانوية وقسم منهن بعد اكمال الدراسة الجامعية كما أن عدد الاطفال اصبح اقل.

– اصبحت الجرائد مليئة بقصص الفساد الاخلاقي بين العائلات المقيمات في المدينة، الاباء يزوجون بناتهم إلى اشخاص مسنين حتى يستطيعوا دفع ديون موائد القمار المترتبة عليهم وتظهر أخبار حول حوادث العنف في العائلات وعن حالات الجنس للحصول على المال أو على عمل، إن كثيراً من الشقق الجديدة والغالية احياناً يشتريها القادمون والذين لم يكونوا يملكون شيئاً عند أول قدومهم ولكنهم بطرق مختلفة اصبحوا ميسوري الحال، التهريب وخاصة تهريب المخدرات والدعارة اصبحت وسائل لكسب المال، فتيات روسيات ومن بلدان الاتحاد السوفيتي السابق تحت سن البلوغ تجلبن إلى تركيا ويجبرن على ممارسة البغاء، وعندما لايكونن في المهنة يحبسن حتى لايهربن إلى بلدانهن، هذا مختلف عن الدعارة القانونية الموجودة في اغلب المدن.

– إذا كانت العائلة تمر بمرحلة تغير كبير بسبب المدينة فماذا عن تقاليد الضيافة والكرم والشرف والشجاعة التي تطرقنا اليها قبلاً؟

الضيافة لاتمارس في المدينة كما كانت الحال معها في القرية لأن الرجل الذي

يعمل في المعامل والمصانع وغيرها لايستطيع ترك عمله عند وصول الضيف الا بأذن من صاحب العمل كما أن النساء أيضاً لايستطعن الاهتمام بالضيوف لأنهن ايضاً قد يكونن مشغولات في الخارج في أداء عمل ما.

في الوقت الذي لاتزال الضيافة تعتبر قيمة كوردية مهمة فانها تأخذ شكلاً آخر في المدينة حيث تأخذ العائلات الضيف إلى المطاعم أما في القرية فقد كان ترك الضيف تعتبر أمراً صعباً ولم يعد الامر كذلك في المدينة. في القرية الناس أحرار في زيارة الواحد للاخر أما في المدينة فالمسألة تحتاج إلى ترتيب مسبق قبل الشروع بالزيارة. الكورد في كثير من المدن لم يعودوا يولون الشرف ذلك الاهتمام الذي كان يحظى به في القرية، أنهم يقولون أن القيمة المهمة هي قيمة المال، المجتمع الكوردي يمر في مرحلة مخاض اجتماعي وهم اليوم يواجهون صراع القيم الذي يمكن وصفه بحرب الثقافة وسلطة. ونفوذ الاب السابقة لايمكن له إلا أن يدخل في صراع مع اخلاق المدينة.

العصبية

- وهي كلمة عربية تعنى روح العائلة او روح القرابة او الولاء للمجموعة والتضامن الجماعي، يُرجع اكبر أحمد عالم الاجناس الباكستاني مفهوم العصبية إلى ابن خلدون الباحث الاجتماعي العربي في القرن الرابع عشر، يعتبر ابن خلدون هذه الروابط على أنها العقد الرئيسي للمجتمع ويعتبرها القوة الباعثة في التأريخ، كانت العصبية موجودة دائماً في القرية وكانت تبقي على المجتمع متماسكاً.

ويتحدث اكبر احمد عن العصبية فيقول أنها السبب الرئيسي لخلق المشاكل التي تواجه معظم البلدان الاسلامية، ولكن مع زحف المدينة يضعف التماسك العائلي والعشائري وينجم من هذا الضعف انهيار القواعد الاجتماعية، في المدينة تكون الحالة المدنية هي الاقوى ومعها تضعف العصبية بدرجة اسرع من القرية، فهل يعنى هذا أن الروابط الاجتماعية تحطمت وأن النظام الاجتماعي انهار؟

التمدن وانهيار القاعدة الاجتماعية

- في الثلاثينيات من القرن المنصرم طور لويس ويرث (wirth) نظرية مفادها أن التحديث يؤدي إلى علاقات عائلية سطحية وانها تنهار وتتحطم مع التحديث وأن القواعد الاجتماعية هي في تصارع وأن النظام الاجتماعي باقٍ بفضل مؤسسات السلطة وليس من قبل التقاليد الاجتماعية الموجودة في الريف، ويظهر التفكك الاجتماعي من خلال تفشي الجريمة والانتحار والفساد وما إلى ذلك من انوا ع التفسخ الاجتماعي المدني.

- على السطح يبدو التحضر والتفسخ شاملاً وعاماً، التفكك الاجتماعي يمكن ملاحظته بوضوح في اسطنبول وفي المدن الاخرى ويعود القسم الاكبر منه إلى القرويين الذين قدموا من الشرق و جنوب شرق تركيا ولم يندمجوا كلياً في حياة المدينة، ولكن يوجه بعض الانتقاد إلى نظريات التفكك الاجتماعي لأنها تهمل البؤر الاجتماعية المغلقة (ضمن المجتمع المدني) والتي تتميز بالعلاقات الحميمة بين الاقرباء والاصدقاء.

- يجب أن لاننظر إلى التمدن من خلال منظار يرى الامور بشكل سلبي، الفقر والبطالة والقيود الاجتماعية المفروضة على حرية التعبير ونمط الحياة الذي تفرضه قوى اجتماعية محافظة دفعت بالملايين في كل انحاء العالم إلى ترك القرية والتوجه إلى المدينة، اسطنبول ومع توفر فرص العمل فيها والأمل في حياة مرفهة أفضل تجتذب إيها الوف الكورد وعندما يكافح الرعيل الاول من المهاجرين فان اولادهم عادة يكونون ناجحين.

تروى القصص عن اطفال لآباء نزحوا من القرية إلى المدينة وعن رجال ونساء حققوا مستويات جيدة في التعليم وتخرجوا من الجامعات واصبحوا اطباءً ومهندسين ومحامين ورجال اعمال وسياسة ناجحين الجيل الثاني تأقلم بسرعة مع حياة المدينة وعندما ينسحم الآباء مع ثقافة المدينة من حيث المظهر فان اولادهم اندمجوا فيها بشكل تام وليس لديهم أية نيّة في العودة إلى المناطق التي يحلم الاباء بها.

الخاتمة

- المجتمعات يمكن أن تتحول بسرعة من النمط الريفي إلى المدني و من الشفوي إلى المكتوب والانعزالي إلى ذلك المرتبط بالمجتمع الدولي.

التجربة الكوردية تعطي دروساً يمكن لها أن تساعد مجتمعات اخرى تواجه تحولاً ثقافياً.

١- لقد برهن البيت أنه اقوى من القوى التي تواجهه في نقل شعور قوي بالقومية والثقافة الجماعية، رغم خطط الصهر ونقص التعلم الرسمي فيما يتعلق بالتاريخ والثقافة الكوردية وحتى الانكار التام لهويتهم فان الكورد حافظوا على تميزهم القومي ونقلوه إلى الاجيال المتعاقبة، في الجبال استطاع الاباء والامهات والأجداد والجدات غرس الاعتزاز في نفوس الاطفال رغم ثقافتهم المحدودة، لقد حافظوا على لغتهم حية وعلى ثقافتهم متميزة وسط قمع رهيب، إن موت اللغة والثقافة الذي حل بثقافات كثيرة لايحدث إذا بقيت العائلة متماسكة.

٢- الهوية القومية لاتموت بسهولة رغم مخططات التمثيل والصهر التي جعلت الكثيرين من الكورد يجهلون لغة الام ولم تستطع تدمير شعورهم بأنهم يتميزون قومياً عن غيرهم، القومية نسج شخص تختلف من شخص لاخر، حتى الكورد الذين لايعرفون شيئاً عن لغتهم الكوردية والذين لايتكلمون بها وتربوا في المدينة بعيدين عن كوردستان قد يشعروا يوماً بوخز الضمير ويشعروا باليقظة والعودة إلى التراث.

٣- قد يكون التحضر والتحديث تهديداً للهوية الثقافية بشكل اكبر من التهديد الذي تشكله قوى القمع الخارجي. التلفزيون وليس القمع أدى إلى ضعف العائلة والترابط الاجتماعي والذي من خلالها يمر التقليد الشفوي والفلكلور

الكوردي إلى الجيل الشاب.

إني اخاف على الكورد من التفكك الاجتماعي اكثر من الاجانب، الاقتتال الداخلي والتفسخ الخلقي هما التحدي الاكبر الذي يواجه الكورد اليوم.

٤- إن مؤسسات مدنية بما فيها مراكز ثقافية ومعاهد أخرى شبه رسمية خارج نطاق المنظومة المدرسية عليها ايجاد وسائل للابقاء على الكوردايتية حية بعد أن تلاشت الهياكل الريفية التقليدية. كورد تركيا بشكل خاص يواجهون معركة شرسة من اجل المحافظة على ثقافتهم ونقلها إلى الاجيال الناشئة بسبب ضعف هيكلية العائلة والصراع مع الحياة التي تأخذ وقتاً كبيراً منهم. لقد إزدادت اهمية الموسيقى والاشكال الاخرى للتعبير الفني حيث أن الثقافة الشفوية آيلة إلى الزوال في العراق وحيث حرية التعبير عن الروح القومية الكوردية موجودة اكثر من ذي قبل فالأمل كبير أن الكورد سيستغلون ذلك.

٥- المجتمعات التي تمر بتحول ثقافي كبير كما هي الحالة مع الكورد عليها ايجاد سبل تستطيع من خلالها الاجيال المتعاقبة احترام وخزن المعرفة الاصلية التي تحتوي عليها ثقافتهم الشفوية، كم سيكون حجم المأساة إذا ضاعت حكمة اجيال ساعدت على المحافظة على الكورد عبر قرون من الزمن، عندما ابديت ولعاً بالثقافة الكوردية كان تجاوب الكورد كبيراً وحماسياً، مع ازدياد عدد المتصلين وازدياد فرص التعليم في كل من كوردستان تركيا والعراق فان القصص ستتحول من الشفوية إلى المكتوبة، ومع هذا التطور الايجابي تبقى الحاجة قائمة إلى مناسبات خاصة للتركيز على المواضيع الشفوية في المراكز الثقافية والاحتفالات الخاصة التي تركز على التراث الثقافي الكوردي الجماعي إن اشكال التعلم الاصلية بما فيها رواية القصص تحتاج إلى تقديمها كثقافة فعالة وملزمة، الادب الشفوي يعتمد على التمثيل والتطبيق. تأريخياً اشكال التعليم والتعلم في نقل المعرفة الثقافية كانت الوسيلة المثلى لمعظم الثقافات في العالم للحفاظ على التراث، إنه لأمر مأساوي أن نجد رواية القصص مرتبطه بالاطفال وبذلك كان الكبار

محرومين من التعلم، التعليم الرسمي يمكن تعزيزه دون ازاحة التعلم التقليدي غير الرسمي.

- لا أريد أن أظهر اسلوب الحياة التقليدية في القرية بشكل مثالي، كانت هنالك نزاعات عائلية وعشائرية دموية، النساء مضطهدات وكان الفقر منتشراً أناس قليلون كانوا قادرين على القراءة والكتابة ومعظمهم كانوا أميين لايعرفون إلا النذر اليسير عن العالم الخارجي المحيط بهم، الاغوات كانوا يتمتعون بنفوذ كبير و استخدام مراكزهم وكانوا يتعاونون مع من يقدم اليهم الامتيازات، الشيوخ كانوا يشغلون مشاعر الناس الدينية لأمور دنيوية، عاني الكورد في العراق من حرق قراهم لأكثر من مرة، أعداد من كورد تركيا أجبروا على ترك ديارهم والعيش بعيداً عن اقرانهم. التعلم كان محدوداً والبنات هنّ محرومات منه.

كانت هنالك محاسن وأمور جيدة إيضاً و بعيون دامعة تحدث إليّ كثيرون عن أماسيهم في القرية وهم يستمعون إلى القصص و يناقشون أمور قريتهم أو يردوون الشعر ويغنون، كانت هنالك قيم مشتركة وحدود معلومة للحق والباطل، كان الواحد منهم يحرص على الاخر كانوا على مقربة وتماس مع الطبيعة يزرعون ويربون الحيوانات كما فعل اجدادهم لالوف السنين، القرية التي قد تكون قاسية عليهم بسبب القيل والقال وهمية التقاليد المقيدة للحرية أعطتهم ايضاً شعوراً بالانتماء الذي ساعدهم على البقاء والتغلب على الاعداء.

- ماذا عن المستقبل؟ لن افكر في امكانية قيام دولة تسمى كوردستان والتي تشمل مناطق من العراق و تركيا وايران وسوريا يبدو الآن أن حدوث هذا الشيء أمر غير قابل للتحقيق، في العراق وحدهُ تستعمل كلمة كوردستان بحرية والكورد يعرفون بأن حكمهم الذاتي الحالي يمكن التفاوض عليه إذا بقي العراق متماسكاً.

- الكورد لم يعودوا شعباً منسياً بالمرة منذ ١٩٩١ هم على شاشات التلفزيون في البيوت في كل انحاء العالم في الوقت الراهن. الكورد حلفاء أقوياء للولايات المتحدة وهم ممتنون لها لانقاذها لهم من قوات صدام حسين. إن كورد تركيا

يزدادون عدداً ولايمكن تجاهلهم بعد اليوم و القوى الخارجية تحاول تقسيم تركيا، يمكن للكورد في غضون أجيال قليلة أن يصبحوا الاكثرية السكانية في تركيا، كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكوردية عندئذ؟

- إذا تركنا السياسة جانباً الكورد يجب أن يدرسوا كشعب حافظ على هويته ولغته أحياء في وجه المخاطر الكبيرة المشهد الذي وضعناه في أول الكتاب قد لايكون قياسياً كما كان الماضي ولكن الكوردياتية، سوف تبقى وتنقل بشكل أو بأخر، وبمرور الزمن لن يشعر الكورد كما كانوا في السابق أن صديقهم الوحيد هو الجبال، آمل أن يكون المجتمع الدولي اكثر أهتماماً بنضالهم و أن الهروب البائس إلى الجبال سيصبح جزءً من الفلكلور الذي سينقل إلى الاطفال وليس امراً يمكن حدوثه مرة أخرى.

وكما يقول المثل الكوردي وهو الأخير الذي سأورده:

Bila xude yer bit, hami dinya bila neyar bit.

ومعناه إذا كان الله في عون الكورد فلا نبالي إذا كان العالم كله عدواً لهم، منذ زمن سفينة نوح إلى زمن العولمة عاش الكورد على هذه الارض التي يسمونها "كوردستان"، لقد بقوا احياء وازدادوا عدداً ويواجهون مستقبلاً اكثر اشراقاً عن اي وقت مضى.

الملحق أ

عدد نفوس الكورد

تقدير نفوس الكورد مهمة معقدة، حكومات تركيا وايران والعراق وسوريا تميل(تحاول) إلى التقليل من اعدادهم، فقط أولئك الكورد الذين يسجلون لغة الام الكوردية لهم أو يدعون انهم لايعرفون لغة الدولة الرسمية يسجلون كونهم كورداً في تركيا. في البلدان تم صهر مئات الالوف من الكورد وهم لايتحدثون بالكوردية ولكنهم يشعرون بانتمائهم الكوردي، القوميون الكورد يدخلون هؤلاء حساباتهم ويدعي البعض منهم أن نصف سكان تركيا هم كورد بينما تشير الاحصاءات التركية إلى عدد أصغر من هذا بكثير. الحقيقة هي عدد بين طرفي المبالغة، قدر في ١٩٩٠ عدد الكورد بنحو ٢٦,٣ مليون نسمة وتوقع وصول هذا الغدد في ٢٠٠٠ إلى ٣٦,٢٢ مليون، قدر نفوس الكورد في تركيا بـ ١٨,٧ مليون اي نسبة ٢٨,٤٪ من مجموع السكان و ٩ مليون في ايران اي بنسبة ١٢,٦٪ من مجموع السكان الكلي و ٦,٤ مليون في العراق اي بنسبة ٢٤٪ و ١,٦ مليون في سوريا أي بنسبة ٩٪ من عدد السكان، وفي اوروبا قدر عددهم بحوالي مليون نسمة وفي اسرائيل ١٢٥,٠٠٠ نسمه وفي لبنان بحوالي ٧٥,٠٠٠ قسمه وفي الولايات المتحدة بحوالى ٢٠,٠٠٠ نسمة وفي استراليا بحوالي ١٠,٠٠٠ نسمه، أما لهذا الكتاب فاني استخدم العدد ٣٥ مليون وهو أقل مما قدّره أزادي واكثر من تقديرات اخرى.

الملحق ج

اللغات واللهجات بين الكورد

أن الدول التي يوجد فيها الكورد غالباً ما تنكر وجود لغة كوردية متميزة عن غيرها من اللغات، يقولون أن الكوردية هي مزيج من التركية والعربية والفارسية، ولعدم وجود لغة كوردية رسمية تدرس في المدارس (بإستثناء العراق الذي تدرس فيه اللهجة السورانية) فان الكورد لم يحصلوا على فرصة لتطوير لغة موحدة هذا الشيء يحدث الآن في العراق، في تركيا معظم الاكراد يتحدثون

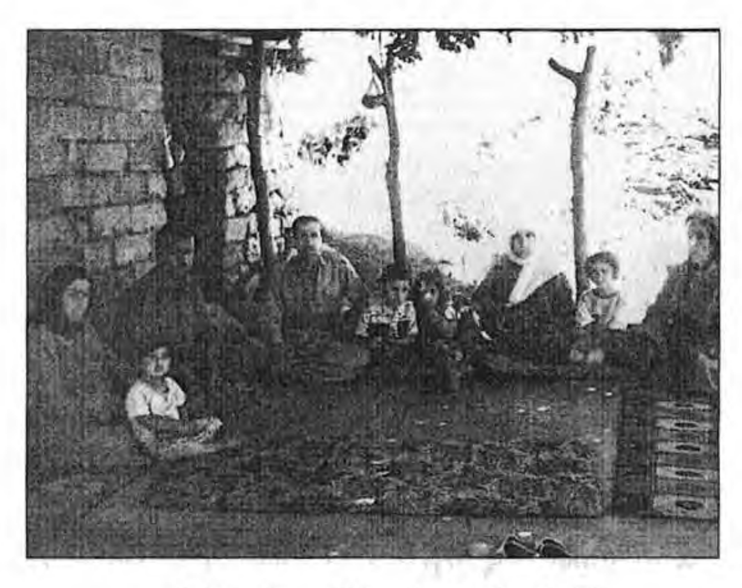
اللهجة الكرمانجي ولكن المنطقة الجغرافية التي يعيش الكورد فيها تؤثر على اللهجة و اللغة المستعملة تختلف من مكان إلى اخر، وهنالك ايضاً اقلية تعدادها ٤,٥ مليون يتحدثون بلهجة زازا التي تختلف عن الكرمانجي إلى درجة انها تعتبر لغة قائمة بذاتها وليست لهجة.

– اما في العراق فالاكثرية يتكلمون السوارنية التي هي مختلفة عن الكرمانجي قوآعدياً وتلفظاً، يصنف البعض السوراني على انها الكرمانجي الجنوبي وهو تصنيف لم اسمع به إلا قليلاً. الكورد في منطقة الحدود العراقية مع تركيا يتكلمون البهديناني وهي لهجة من لهجات الكرمانجي، الكورد في منطقة بهدينان في العراق يستطيعون فهم اولاد عمومتهم في جنوب شرق تركيا بشكل اسهل من فهم المتحدثين باللهجة السورانية في كوردستان العراق وهنالك لهجة اخرى تدعى "الگوراني" وهي لهجة وسطية بين السوراني والكرمانجي.

– أما الكورد في ايران فهم مقسمون بين المتحدثين بالبهديناني والمتحدثين بالسوراني. وبما أن اللغة الفارسية هي الاقرب إلى الكوردية من التركية والعربية فان مسألة اللغة ليست محل خلاف كبير في ايران مثلما هي في بلدان اخرى ولكن ذلك لايعني أن الكورد لم يعانوا في ايران، أما كورد سوريا فهم يتحدثون بلهجة الكرمانجي وهم فيها اقلية صغيرة وكثيرون منهم يتكلمون العربية على انها لغتهم الاساسية، إن كلمات كثيرة دخيلة من اللغات الرسمية دخلت الكوردية، اللغة الكوردية في العراق مثلاً تحتوي كلمات عربية كثيرة وفي تركيا تحتوى كلمات تركية وكذلك الحال في ايران حيث انها تحتوي كلمات فارسية وتركية.



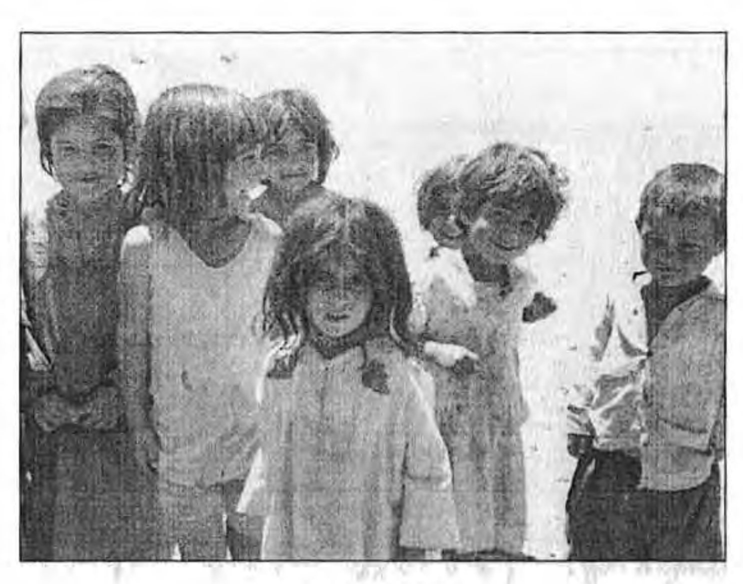
كوردي مع طفله الرضيع



عائلة كوردية تعيش في جبال كوردستان - العراق



قرية كوردية في شمال العراق



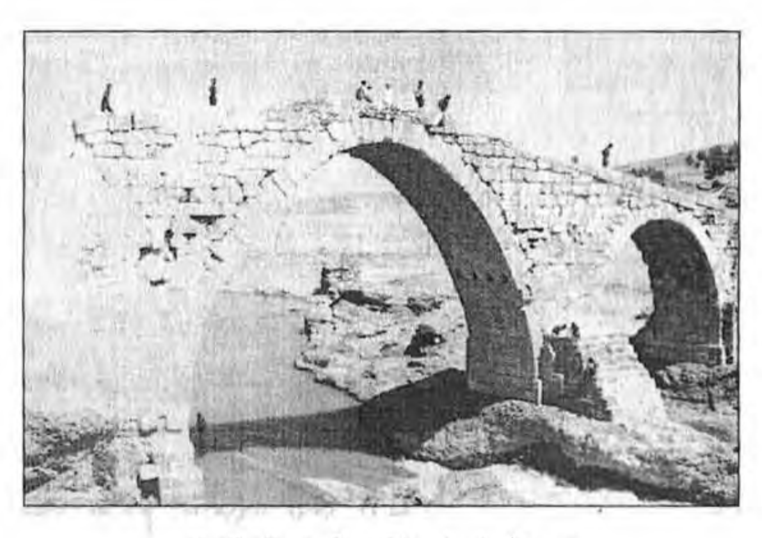
اطفال کورد عراقیین



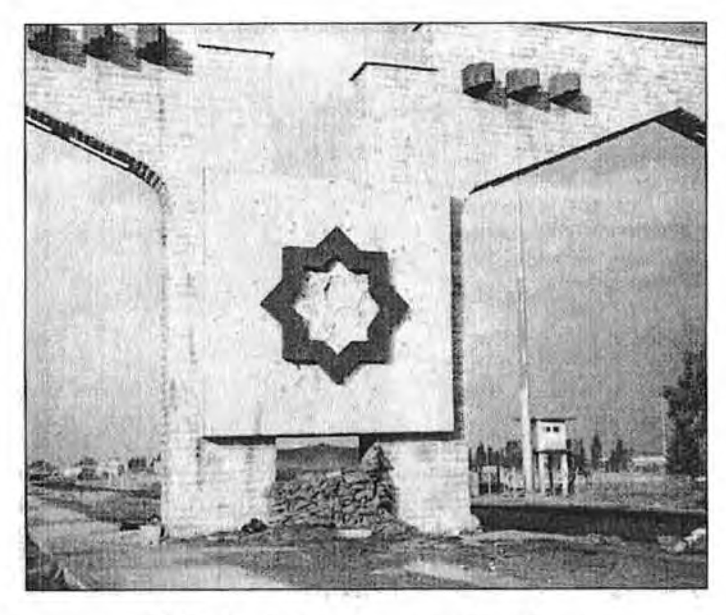
نسا ، واطفال كورد عراقيين في بناية حكومية بعد تدمير
قريتهم في عمليات الأنفال - ١٩٨٨



نساء كورد من تركيا في مخيم لاجئين في شمال العراق



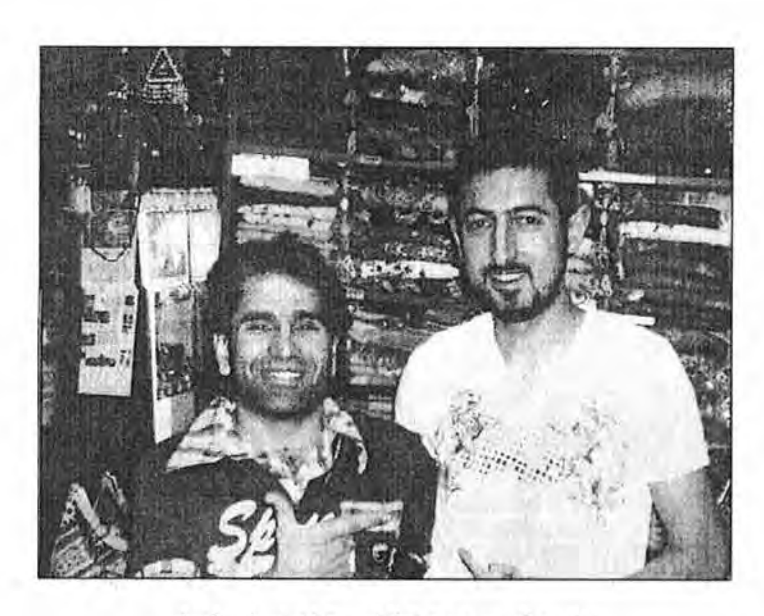
جسر تأريخي في زاخو - كوردستان العراق



صورة صدام حسين بعد تدميرها في عام ١٩٩١



اطفال من تركيا على سطح منزل في جنوب شرق تركيا



بائعين كورديين من تركيا يعيشان في اسطنبول



لاجئون كورد من تركيا في شمال العراق



وجهاء قرية في كوردستان العراق



اسطنبول



حفلة زواج كوردية



عجوزة كوردية في كوردستان العراق



حفلة زواج كوردية في كوردستان العراق



امرأة كوردية تعمل جهد في كوردستان العراق



امرأة ترتدي العباية



وجهاء القرية



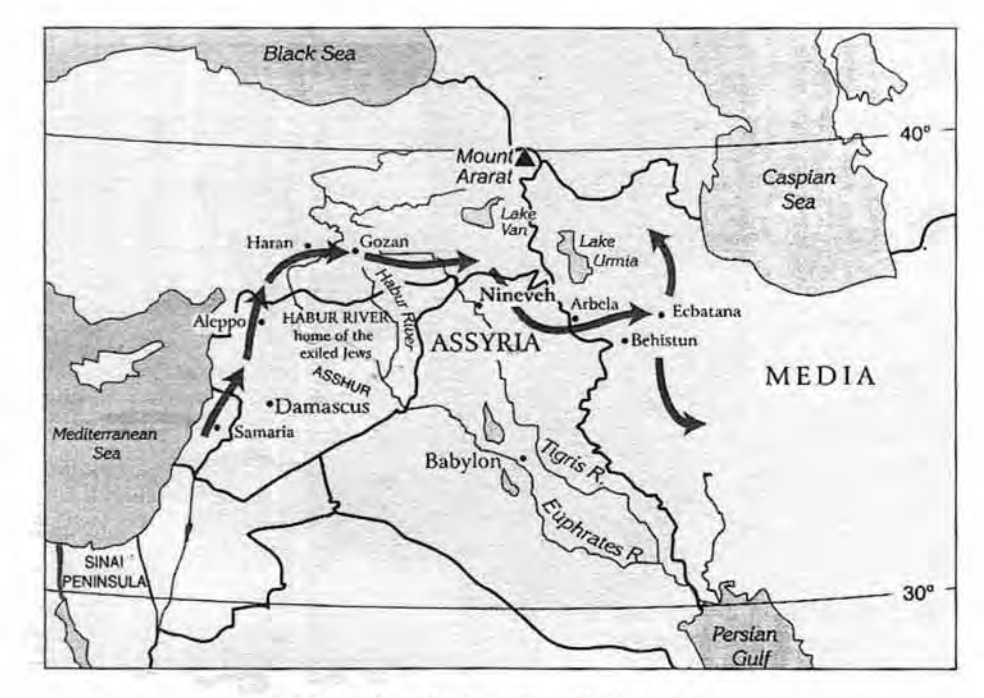
نازحون كورد في بناية حكومية ١٩٩١



نساء يرتدون ملابس متنوعة في اسطنبول

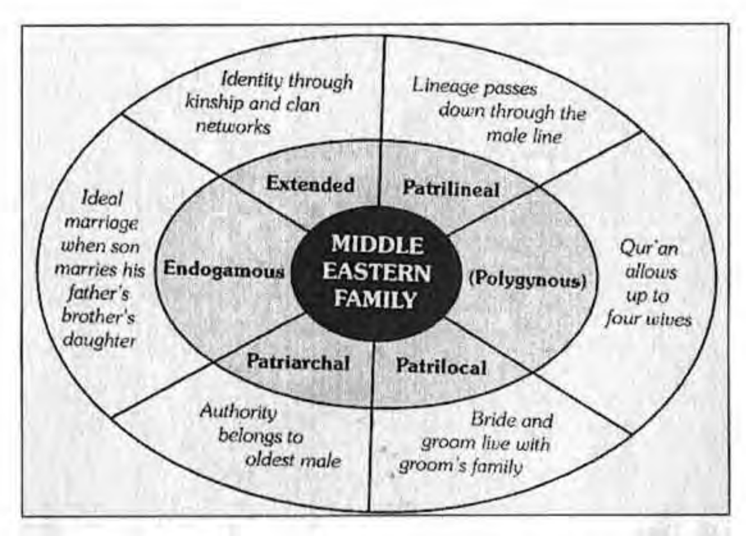

Black Sea
COMMONWEALTH OF INDEPENDENT STATES (CIS)
Ankara
Yerevan
TURKEY
Caspian Sea
Van
Tabriz
Diyarbakir
Batman
Hakkari
Amediya
Arbil
36°
Euphrates
Tigris
Tehran
Kirkuk
Suleymania
SYRIA
CYPRUS
Halabja
IRAN
Damascus
Baghdad
Mediterranean Sea
IRAQ

کوردستان



هجرة اليهود في العهد الميدي في القرن الثامن قبل الميلاد

مناطق النفوذ ١٩١٦



التقسيم العائلي في الشرق الأوسط

المحتويات

As Strong as the Mountains

A Kurdish Cultural Journey

by Robert L. Brenneman

مطبعة
ئاراس
اربيل - كردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil